التوحيد

مجلة إسلامية ثقافية شهرية

المجلد الخامس

تصدرها
جماعة أنصار
السنة المحمدية

العدد ١

محرم سنة ١٣٩٧

Upload by: altawhedmag.com

التوحيد

إسلامية ثقافية شهرية

تصدرها: جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير: عنتر أحمد حشاد

صاحبة الامتياز:
جماعة أنصار السنة المحمدية - المركز العام بالقاهرة

جميع الاشتراكات ترسل باسم أمين الصندوق

الإدارة: ٨ شارع قوله بعابدين القاهرة - تليفون ٩١٥٥٧٦

ثمن النسخة

السعودية	١ ريال	الجزائر	١ دينار
الكويت	٥٠ فلسًا	المغرب	١ درهم
العراق	٧٥ فلسًا	الخليج العربي	٧٥ فلسًا
الأردن	٥٠ فلسًا	اليمن وعدن	٧٥ فلسًا
ليبيا	١٠٠ مليم ليبي	لبنان وسوريا	٥٠ قرشًا
تونس	٢٥ مليمًا	السودان ٦٠ مليمًا (بالبريد الجوي)	

مصر ٥٠ مليمًا

Upload by: altawhedmag.com

بسم الله الرحمن الرحيم

٢ - سورة البقرة

عرض وتفسير

- ١٢ -

عنتر أحمد حشاد

الموجه العام بوزارة التعليم

جـ - عرض عام للسورة :

رأينا - فى الحلقة السابقة - أن الحديث كان فى فضيلة التضحية، فى فضيلة الجهاد بالنفس والمال (١) ، وهنا (فى الآيات من ٢٧٥ (٢)) ينساق الحديث من هذه الفضيلة التى هى أسمى الفضائل الاجتماعية - الى رذيلة الجشع والطمع ، واستغلال حاجات الضعفاء ، التى هى فى أقصى الطرف المقابل ، والتى هى أحط أنواع المعاملات البشرية ، وأعنى بها رذيلة الربا ، التى تستغل فيها حاجة الضعيف ، ويتقاضى فيها المقرض ثمن المعروف الذى يبذله .

ومثل القرآن الحكيم - حين ينتقل بنا من وصف فضيلة الى وصف رذيلة فى أقصى الطرف المقابل لها - مثل المربى ، يعمد الى صورتين متباعدتين : صورة مشرقة مضيئة ، وأخرى قاتمة مظلمة ، ويعرضهما جنبا الى جنب ، فتتضح كلتا الصورتين ، وتزدادان بهذا الاقتران افتراقا فى أعين الناظرين ... تزداد الفضيلة قسامة ووسامة (٣) ، فتتجلى محببة الى القلوب ، وتزداد الرذيلة فحشا ودمامة (٤) ، فتبدو مذممة مبغضة الى النفوس .

الصدقة : نزول عن المال كله بلا عوض ولا رد ، والربا : استرداد

---

(١) فى الآيات من ٢٣٨ - الى ٢٧٤ .
(٢) الى الآية ٢٧٩ .
(٣) قسامة ووسامة : جمالا .
(٤) دمامة : قبحا .

Upload by: altawhedmag.com

للدين ومعه زيادة حرام ، مقتطعة من جهد المدين ، أو من لحمه . من جهده ان كان قد عمل بالمال الذى أخذه دينا فربح نتيجة لعمله هو وكده هو . ومن لحمه ان كان قد أخذ المال للنفقة منه على نفسه وأهله ولم يستربحه شيئا ، فالربا هو الطرف الآخر للصدقة .. الطرف الكالح الطالح الذى تقشعر منه الاريحية الانسانية .

ولايضاح مدى البعد والمفارقة فى القيم المعنوية بين هذين الطرفين المتباعدين — نقول : ان ها هنا أربع درجات من الاعمال والقيم : اثنتان منها مشروعتان ، احداهما أفضل وأسمى من الاخرى ، واثنتان محظورتان محرمتان ، احداهما أكبر جرما ، وأشد حرمة من أختها .

فأما الخصلتان المشروعتان ، فأقلهما التعامل على أساس العدل ، الذى يأخذ فيه كل ذى حق حقه ، لا ظالما ولا مظلوما ، من غير ارهاق ولا حرج « فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » هذا حسن ، وأحسن منه أن يكون التعامل على أساس الفضل الذى يتنازل فيه الكريم عن بعض حقه وحظه ، ليزيد فى حظ صاحبه جودا وايثارا « وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون » وهذا هو أصل فكرة البر والاحسان .

وأما الخصلتان المحظورتان المحرمتان ، فأهونهما التعامل مع المدين المعسر على أساس التدقيق فى الحقوق والمشاحة فيها فى حال العسرة ، دون اشفاق على المعسر ولا امهال له . انها قسوة فاحشة ، وأشد قسوة منها وفحشا أن يكون التعامل بالربا ، على أساس طلب المزيد فى حظ نفسه ، بالاقتطاع من حق غيره ، طمعا وجشعا واستغلالا للحاجات . وهذا هو أصل باب الربا الذى هو — كما قلنا — أحط أنواع المعاملات البشرية .

ونرى القرآن الحكيم يضم هذين الطرفين المتباعدين « الصدقة والربا » فيعرضهما علينا هنا متجاورين ، للمعنى التربوى الذى عرفناه ، ثم يعرض علينا ما بين هذين الطرفين من الدرجتين الوسطيين بعد ذلك .

Upload by: altawhedmag.com

الحديث الآن ــ اذن ــ فى شأن الربا :

والربا داء وبيل من أدواء البشرية المزمنة . وقد حرمته الشرائع السماوية كلها ، ولم تفرق فى الحظر والتحريم بين قليله وكثيره . وكان تحريمه فى الاسلام تدريجيا كتحريم الخمر : فأول ما نزل فى شأنه قوله تعالى فى سورة الروم المكية : « وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله (١) » فكان ذلك ذما له بغير تحريم صريح . ثم نزل تحريم الربا الفاحش فحسب فى قوله عز شأنه : « يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة (٢) » وأخيرا جاء بتحريم كثيره وقليله تحريما كليا فى تضاعيف هذه الآيات (٢٧٥ ــ ٢٧٩) التى نعرضها الآن « وان تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » وهى آخر آية أنزلت فى شأن الربا ، بل هى وما يليها آخر ما نزل من القرآن الكريم كله ، كما صح عن ابن عباس رضى الله عنهما . فهى التى استقر عليها أمر التشريع الاسلامى فى هذا الشأن ، وهكذا لم يبق بعدها حجة لاحد ، فى استساغة واباحة أقل القليل من الربا . ذلك أن الاختلاف فى الدرجات والنسب لا يغير شيئا فى أمر المبدأ ، ولا يقتلع جرثومته ، التى هى شر كلها : انها شر خلقيا ، وشر اجتماعيا ، وشر اقتصاديا ، وشر فى الدنيا والآخرة .

أما أنها شر خلقيا فقد تبين . وأما أنها شر اجتماعيا فلأنها توسع الهوة بين الطبقات ، اذ أنها تضمن تحويل الثروة تدريجيا الى ناحية واحدة ، وهى ناحية رأس المال ، مع ترك اليد العاملة تنحدر بالتوالى نحو الحضيض ، وأما أنها شر اقتصاديا فلأنها تحرم ميدان العمل من تلك الايدى الناعمة المترفة ، التى تنال رزقها من قعود وكسل ، وأما أنها شر على صاحبها فى الدنيا والآخرة فلأن الله أوعد المرابين بتعكيس قصدهم ، وبالمحق والنقص من حيث يطلبون المزيد ، كما أنه وعد البررة

---

(١) من الآية ٣٩ من سورة الروم .
(٢) من الآية ١٣٠ من سورة آل عمران .

Upload by: altawhedmag.com

المحسنين باخلاف ما أنفقوا ، وانماء ما نقصوا « يمحق الله الربا ويربى الصدقات » .

وقد يفهم بعض الناس من هذا الطابع البارز فى التشريع الاسلامى، طابع القناعة والسماحة — أن الاسلام يكاد ينزع من النفوس قيمة المال ، ويثنيها عن الاهتمام بأمره ... فهل هى دعوة الى الزهد فى القيم المادية الى حد عدم العناية بكسبها وتثميرها ، أو عدم المبالاة بصيانتها وحفظها ؟

هيهات ، هيهات . ان المال فى نظر القرآن هو قوام الحياة (١) ، وقد سماه خيرا (٢) ،يأمرنا بأن نسعى فى طلبه ، ويحذرنا أن نعهد بتدبيره الى السفهاء ... ان القرآن يدعو الى كسب المال من حله ، لانفاقه فى محله ، وكيف ينفق المال فى مصارفه من لم يلتمسه من موارده ، ولم يحسنه من متالفه ؟ ..

من كان فى شك من هذه الحقائق فليقرأ بعد ذلك آيتى الدين والرهان (٢٨٢ و ٢٨٣) فهما تدفعان عن نفوسنا هذا التوهم ، وتصوغان للمؤمنين دستورا هو أدق الدساتير المدنية فى حفظ الحقوق وضبطها وتوثيقها بمختلف الوسائل ، تمهيدا لانفاقها فى أحسن الوجوه .

نعم . لقد رأينا الشعوب الامية فرأيناها تعول فى اثبات الحقوق بينها — على شهادة العيان وحدها ، ليس لها سبيل غير ذلك ، ورأينا الامم المتحضرة فرأيناها تعتمد فى معظم الامر على الوثائق الكتابية وحدها . ثم رأينا دستور القرآن فاذا هو يطالبنا بالكتابة والاشهاد جميعا « فاكتبوه » « واستشهدوا شهيدين » هذه واحدة ... ثم يأمرنا بأن نجعل التوثيق بالكتابة شاملا ، لا للديون الكبيرة وحدها ، بل لصغير الحقوق وكبيرها على السواء « ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا

---

(١) كما يشعر بذلك قوله سبحانه : « ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التى جعل الله لكم قياما » من آية ٥ من سورة النساء .

(٢) كما جاء فى قوله عز وجل : « كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين » من آية ١٨٠ من سورة البقرة .

Upload by: altawhedmag.com

الى أجله ... » وهذه ثانية ... ثم ينبهنا الى عدم اهمال الكتابة والاشهاد ، حتى فى المبايعات الفورية الناجزة الثمن ... « الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها ، وأشهدوا اذا تبايعتم » وهو ارشاد واضح لارباب الاعمال المالية الى العناية بدقة حسابهم ، وضبط صادراتهم ووارداتهم يوما فيوما ، بل ساعة فساعة ، وهذه ثالثة ... ثم ينبهنا الى أنه — منعا لكل خلاف ونزاع — لا يكون الكاتب أحد الطرفين ، بل شخصا ثالثا بينهما ، عدلا منصفا ، عالما بقواعد المعاملات وشروطها ، وأصول الكتابة ، وصيغها الصحيحة الواضحة « وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله » . أليس هذا هو نظام التوثيق أمام كاتب العقود الخبير فى هذه الشئون ؟ وهذه رابعة ... ثم يأمرنا فى حال السفر الذى لا يتيسر فيه العثور على هؤلاء الكتاب أن يلجأ المتداينان الى الاستيثاق بالرهون « وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة » وكأنما يرشدنا بكلمة السفر الى أنه فى حال الحضر لا ينبغى أن تخلو الجماعة من هذا الجهاز الحسابى الدقيق ... فمن لم يجد سبيلا الى التوثيق بوثيقة ما، ولم يبق أمامه الا أن يكل عميله الى ذمته وأمانته « فليؤد الذى اؤتمن أمانته » .

وهكذا نجد فى هاتين الآيتين الكريمتين من ضروب الارشاد والتوجيه الحكيم ما لا يكاد يحصى .

والآن وقد أشرفنا على الختام — أحب أن نقف هاهنا وقفة قصيرة، نحصى فيها المراحل العظيمة التى قطعناها من هذه السورة ، والخطوات اليسيرة التى بقيت أمامنا منها ...

لقد تناول الشطر الاول فى هذه السورة (من أولها الى آية البر ١٧٧) أصول الايمان ، ومبادىء العقيدة ، ارساء لها ، وردا على مخالفيها ، وكان الشطر الثانى (من آية البر الى حيث نحن الآن فى الآية ٢٨٣) تفريعا على الشطر الاول بتفصيل آداب الاسلام وفضائله

Upload by: altawhedmag.com

العملية ... فهل بقى فى أمر الدين شىء وراء هذين الركنين : وراء الايمان والاسلام ؟ .

نعم ، لقد بقيت ذروته العليا ، وحليته الكبرى ..

بعد الايمان ... والاسلام ... بقى الاحسان ، وهو — كما فسره صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه — أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك ، أن تراقب الله فى كل شأنك ، وأن تستشعر مشاهدته لك فى سرك واعلانك ، وأن تستعد لمحاسبته لك ، حتى على ذات صدرك ، ودخيلة نفسك ، مطلب عزيز لا يطيق الوفاء به كل مؤمن ، ولا كل مسلم ، وانما يحوم حول حماه صفوة الصفوة من المتقين ، وهذا المطلب هو الذى توجت به السورة هامتها فى آية واحدة ، قبل أن تطوى صفحتها : « لله ما فى السموات وما فى الارض وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شى قدير » (الآية ٢٨٤) .

الخاتمة : فى آيتين اثنتين (٢٨٥ و ٢٨٦) .

والآن وقد تناولت السورة أركان الدين كلها ، وألمت بعناصره جميعها : الايمان ، والاسلام ، والاحسان — لم يبق بعد تمام الحديث الا طى صفحته ، واعلان ختامه .

فكيف طويت صفحة هذه السورة ، وكيف أعلن ختامها ؟

لنعد الى مطلع السورة فى آياتها الخمس الاولى ، لنرى كيف تتجاوب تلك المقدمة مع هذه الخاتمة ، ثم كيف يتعانق الطرفان : البدء والختام ، هكذا فى تناسق وانسجام ، ليلتحم من قوسيهما سور محكم يحيط بهذه السورة ، فاذا هى سورة حقا ، أى بنية محكمة مسورة .

ألم يكن مطلع السورة وعدا كريما لمن سيؤمن بها ويطيع أمرها بأنهم أهل الهدى وأهل الفلاح ؟

Upload by: altawhedmag.com

ألسنا نترقب الآن صدى هذا الوعد ؟ بلى ، اننا ننتظر الآن أن تحدثنا السورة : هل آمن بها أحد ، وهل اتبع هداها أحد ؟ ثم ننتظر منها ــ ان كان ذلك قد وقع ــ أن تحدثنا عن جزاء من استمع واتبع ...

وهكذا سيكون مقطع السورة ، ويكون ختامها :

(١) بلاغا عن نجاح دعوتها : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون » « وقالوا سمعنا وأطعنا » .

(٢) وفاء بوعدها لكل نفس بذلت وسعها فى اتباعها « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » .

(٣) فتحا لباب الامل على مصراعيه أمام هؤلاء المهتدين المفلحين ، فليبسطوا ــ اذن ــ أكف الضراعة الى ربهم ، داعين ضارعين : « ربنا .. ربنا .. أنت مولانا ، فانصرنا على القوم الكافرين » .

وهكذا تختم هذه السورة بتحقيق هذا الوعد لمن آمن بها ، وعمل بها فيها . جعلنا الله واياكم من أهل هذه الخواتيم الحسنى . آمين .

عنتر حشاد

دعوة المظلوم

عن معاذ بن جبل قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : انك تأتى قوما من أهل الكتاب ، فادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله ، وأنى رسول الله ، فان هم أطاعوا لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فان هم أطاعوا لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم ، فترد فى فقرائهم ، فان هم أطاعوا لذلك ، فاياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فانه ليس بينها وبين الله حجاب .

Upload by: altawhedmag.com

من وحى الهجرة :

الهجرة جهاد لافرار

كلما أهل علينا هلال المحرم ، جالت فى خواطرنا أحداث تاريخنا العظيم ، ولا أقول تذكرنا هذه الاحداث ، فهى لا تنسى حتى نتذكرها ، بل هى كامنة فى نفس كل مؤمن ، فقد اعتبر المسلمون الهجـرة بداية تأريخهم لمـا فيها من كفاح وتضحية وجهاد (١) .

لقد ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الله فى مكة طيلة ثلاثة عشر عاما ، تعرض المسلمون خلالها لاشد أنواع العذاب ، لم يترك المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يبث دعوته ، وينشر دينه ، وان بقوا هم على شركهم وكفرهم ، ولكنهم وقفوا فى طريق نشر هذه الدعوة بصلف وغرور ، وحاولوا ابعاد الناس عن القرآن الكريم ، قال تعالى : (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) . الآية ٢٦ من سورة فصلت .

فكانت حكمة الله عز وجل أن لا يبدأ القتال مع المشركين فى هذه الآونة ، لان الاسلام فى حاجة الى أهله لكى تتكون منهم أمة تنشر دين الله فى الجزيرة العربية وفيما حولها ، ثم اذا قويت هذه الامة استطاعت أن تدافع بعد ذلك عن هذا النبت الذى غرسته ، فلم يكن بد من الهجرة من مكة بعد أن أغلقت القلوب فيها أمام هذا الدين الجديد ، وبعد أن تآمروا على حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدار دمه ليضيع ثاره بين القبائل ، قال تعالى : (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك (٢) أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين) . الآية ٣٠ من سورة الانفال .

---

(١) المحرم يعتبر بداية التاريخ الهجرى ، اما الهجرة فقـد وقعت فى شهر ربيع الاول حيث كان وصول رسول الله صلى الله عليـه وسلم الى المدينة فى الثانى عشر منه .

(٢) ليثبتوك : ليحبسوك .

Upload by: altawhedmag.com

فلم تكن الهجرة فرارا ولا هروبا من مشركى مكة ، ولكنها كانت جهادا لنصر دين الله ونشره ، فما سبقها من مقدمات كبيعتى العقبة كان جهادا ، وما صاحبها من تخطيط وتنظيم للرحلة كان جهادا ، وما أعقبها فى المدينة كان جهادا ، كانت كل مراحلها جهادا فى سبيل الله ، لا يبغى أصحابه الا وجه الله ورحمته ، قال تعالى : (ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله ، أولئك يرجون رحمة الله ، والله غفور رحيم) • الآية ٢١٨ من سورة البقرة •

وعن وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار مع صاحبه أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، يقول الله عز وجل : (الا تنصروه فقد نصره الله ، اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين ، اذ هما فى الغار ، اذ يقول لصاحبه : لا تحزن ان الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا ، والله عزيز حكيم) • الآية ٤٠ من سورة التوبة •

وحتى يعلم المؤمنون أن الهجرة جهاد ، تتجلى روعة القرآن وعظمته ، فتأتى الآية السابقة التى تتحدث عن نصر الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ، وتثبيت الرسول لصاحبه أبى بكر فى هذه اللحظات الحرجة داخل الغار (لا تحزن ان الله معنا) ، تأتى هذه الآية الكريمة محصورة بين اطار جميل من آيات الجهاد ، فيسبقها الحديث عن الجهاد ، ويعقبها الحديث عن الجهاد • يسبقها قول الله جل فى علاه : (يأيها الذين آمنوا : ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض ؟ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ؟ فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل • الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ، ويستبدل قوما غيركم ، ولا تضروه شيئا ، والله على كل شىء قدير) • الآيتان ٣٨ ، ٣٩ من سورة التوبة •

ثم بعد هذه المقدمة التى تحرض المؤمنين على الجهاد ، وتحثهم عليه ، وتأمرهم أن لا يتثاقلوا عن الجهاد ، والا حاق بهم العذاب الاليم ، بعدها تأتى آية الهجرة (الا تنصروه فقد نصره الله ••) لكى يبين لنا

Upload by: altawhedmag.com

الله سبحانه أن الهجرة جهاد ، ثم يأمر المؤمنين بعدها مباشرة أن ينفروا الى الجهاد فى سبيل الله ، وأن يضحوا بكل غال ونفيس فى سبيله ، فيقول : (انفروا خفافا وثقالا ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) • الآية ٤١ من سورة التوبة •

ولو كانت الهجرة فرارا لما قال الله تعالى عن الذين لم يهاجروا : (والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا) • من الآية ٧٢ من سورة الانفال •

حقا ان الهجرة كانت دليلا على الايمان (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم مغفرة ورزق كريم) • الآية ٧٤ من سورة الانفال •

ولما كانت الهجرة جهادا ، فقد وعد الله المهاجرين بالنعيم المقيم فى الجنة ، حيث قال سبحانه : (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ، وأولئك هم الفائزون ، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، خالدين فيها أبدا ، ان الله عنده أجر عظيم) • الآيات ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ من سورة التوبة •

حقا كانت الهجرة جهادا لا فرارا •

مجلة التوحيد

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل •

رواه مسلم

Upload by: altawhedmag.com

هجرة النبى صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الشيخ محمد على عبد الرحيم الرئيس العام للجماعة

لقد حالت قريش بين الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتأدية رسالة ربه ، وعمدت الى أن تسلط عليه صنوف الاذى ، وعلى من اتبعه من المؤمنين .

فلما ابتدأت الدعوة سرا ، دخل فى الاسلام عدد قليل كخديجة وأبى بكر وعلى وعثمان رضى الله عنهم ، ثم أمره الله تعالى بالجهر بالدعوة بقوله الكريم : (فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين) فلبى نداء ربه ، ودعا الناس الى عبادة الله وحده ، ونبذ ما كان عليه آباؤهم من الشرك وعبادة الاوثان ، فوجد من أهل مكة كل عنت واعراض عن دعوة الحق المبين .

عارضت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أشد معارضة ، ولاقى من أذاهم مالا تحتمله الجبال ، واشتد أذاهم كلما رأوه يصلى عند البيت الحرام .

وكان أكثر الناس ايذاء لرسول الله جماعة سموا — لكثرة أذاهم — بالمستهزئين ، فأولهم أبو جهل عمرو بن هشام ، قال يوما : يا معشر قريش : ان محمدا قد أتى ما ترون من عيب دينكم ، وتسفيه أحلامكم (عقولكم) ، وسب آبائكم ، انى أعاهد الله لاجلسن له غدا بحجر لا أطيق حمله ، فاذا سجد فى صلاته رضخت به رأسه ، فأسلمونى عند ذلك أو امنعونى ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم . فلما أصبح ، أخذ حجرا كما وصف ، ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره ، وغدا عليه الصلاة والسلام كما كان يغدو الى صلاته ، وقريش فى أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد عليه السلام ، احتمل أبو جهل الحجر وأقبل نحوه ، حتى اذا دنا منه ، عاد منهزما منتقعا لونه من الفزع ، ورمى حجره من بين يديه ، فقام اليه رجال من قريش ، فقالوا مالك يا أبا الحكم ؟ قال : (قمت اليه لافعل ما قلت لكم ،

Upload by: altawhedmag.com

فلما دنوت منه عرض لى فحل من الابل ، والله ما رأيت مثله قط ، هم بى أن يأكلنى !) فلما ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : (ذاك جبريل ، ولو دنا منه لاخذه) .

وكان أبو جهل كثيرا ما ينهى الرسول عن صلاته فى البيت الحرام ، فقال له مرة بعد أن رآه يصلى : ألم أنهك عن هذا ؟ فأغلظ له رسول الله القول وهدده ، فقال : أتهددنى وأنا أكثر أهل الوادى ناديا ؟ فأنزل الله تهديدا له فى آخر سورة اقرأ (كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة ، فليدع ناديه ، سندع الزبانية ، كلا لا تطعه واسجد واقترب) .

والسيرة النبوية قد تناولت ما فعله عدو الله أبو جهل وغيره من جماعة المستهزئين مع الرسول عليه الصلاة والسلام ، كأبى لهب ، وعقبة ابن أبى معيط ، والعاص بن وائل ، والاسود بن عبد يغوث ، والاسود ابن عبد المطلب الاسدى ابن عم خديجة ، والوليد بن المغيرة ، وغيرهم . وكل هؤلاء انتقم الله منهم كما قال فى سورة الحجر : (انا كفيناك المستهزئين ، الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) . فمنهم من قتل ، كأبى جهل والنضر بن الحارث ، وعقبة بن أبى معيط ، ومنهم من ابتلاه الله بأمراض شديدة فهلك منها ، كأبى لهب والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة .

تسلط الكبر والعظمة على قلوب صناديد قريش ، فسلطوا أذاهم على كل من دخل فى دين الله ، ولكنهم كانوا أقوى ايمانا ، وأصلب عودا ، اذ كانوا يجدون فى الاذى حلاوة ما دام فى مرضاة الله تعالى ، ولم يفتنهم عن الدين ، بل ثبتهم الله حتى أتم للاسلام أمره على أيديهم ، وصاروا فى الارض سادة بعد أن كانوا مستضعفين ، قال تعالى : (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ، ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) .

وقد مهد الله لنصرة نبيه بأن فتح قلوب الانصار للايمان ، وذلك بأن عرض النبى صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل فى المواسم ، وكان ممن كلمهم النبى نفر من الاوس والخزرج من أهل المدينة ، فأسلم

Upload by: altawhedmag.com

منهم على يديه بمنى ستة نفر كانوا سببا لانتشار الاسلام بالمدينة .

وفى العام القابل لقيه بمنى اثنا عشر رجلا من الاوس واثنان من الخزرج ، فآمنوا به سرا عند العقبة الاولى بمنى ، وبايعوه على ما أحب ، وعادوا الى المدينة ، وأظهر الله الاسلام فيها .

وفى العام التالى (اللقاء الثالث بمنى) وفد على الرسول سبعون رجلا وامرأتان ، فأسلموا جميعا ، وبايعوه ، ثم انصرفوا الى المدينه ، وانتشر الاسلام بين أهلها رضى الله عنهم .

ولما اشتد أذى المشركين على المسلمين أمرهم الرسول بالهجرة الى المدينة سرا خشية أن تلحق بهم قريش . ولما لم يبق منهم بمكة الا نفر قليل خشيت قريش على نفسها من انتشار الاسلام بالمدينة ، واذ ذاك أجمعت أمرها على التخلص من الرسول صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعت فى دار الندوة يتشاورون فى الامر ، فقال قائل منهم : نخرجه من أرضنا كى نستريح منه . فرفض هذا الرأى بحجة أنه اذا أخرج : اجتمعت العرب حوله لما يرونه من حلاوة منطقه وعذوبة لفظه . وقال آخر : نوثقه ونحبسه حتى يدركه الموت . فرفض هذا الرأى أيضا بحجة أن أنصاره اذا سمعوا بذلك عملوا على تخليصه ، وربما أدى ذلك الى الحرب . ثم انبرى طاغيتهم بقوله : بل نقتله ونمنع قبيلته من الاخذ بثأره ، وذلك بأن نختار من كل قبيلة شابا جلدا يجتمعون أمام داره ، فاذا خرج ضربوه ضربة رجل واحد ، فيتفرق دمه فى القبائل ، فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قريش كلهم (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين) ولكن الله تعالى جعل كيدهم فى تضليل ، وعصم نبيه من كيد قريش ، ورد كيدهم الى نحورهم ، ومنع أذاهم عنه . فكان فى الليلة التى تواعدوا على انجاز جريمتهم فيها : أن أناب النبى على بن أبى طالب ، فنام على سريره ، وكان القوم قد أحاطوا ببيت رسول الله ينتظرون الفتك به ، ولكن النبى خرج من بيته بعد أن ألقى الله النوم عليهم حتى لم يره أحد وهو يقرأ : (وجعلنا من بين أيديهم سدا ، ومن خلفهم سدا ، فأغشيناهم فهم لا يبصرون) .

Upload by: altawhedmag.com

وكان أبو بكر قد أعد راحلتين للسفر بهما ، ولكن الرسول اختار أن يختفى هو وصاحبه فى غار ثور جنوب مكة حتى ينقطع الطلب عنه ، وجرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات فى هجرته ما هو معروف ومفصل فى كتب السنة والسيرة .

وكان أبرز مظاهر الهجرة الشريفة : استقبال أهل المدينة لنبيهم صلى الله عليه وسلم ، فحدث ولا حرج عن السرور البالغ الذى صاحب مقدمه ، فكان يوما سعيدا ، لم يروا فرحين بشىء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج النساء والصبيان والولدان ينشدون :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قباء أول الامر ، وأسس مسجد قباء ، ثم بنى مسجده النبوى الشريف بالمدينة حيث نزل بها قائلا : (رب أنزلنى منزلا مباركا ، وأنت خير المنزلين) ، وآخى بين المهاجرين والانصار ، وأسس الدولة الاسلامية ، ودك معاقل الشرك فى غزوات متعددة حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا ، وعاد الى مكة فاتحا مطهرا بيت الله العتيق من الاوثان ، فأعلى الله كلمة الاسلام ، ونشر لواء التوحيد ، وطهرت الجزيرة العربية من الوثنية والديانات الشركية .

هذه الهجرة تمخضت عن أجل حدث فى الاسلام ، وقلبت وجه التاريخ ، وفرقت بين عهد الوحشية والظلم وعبادة الاوثان ، وعهد العدالة وعبادة الواحد الديان ، فكانت الهجرة فتحا جديدا للاسلام ، ملأ بنوره الخافقين فى مدة وجيزة .

لا عجب فى هذا أن تكون الهجرة مبدأ للتاريخ الاسلامى ، وفيصلا مبينا بين الظلام والنور ، لعل المسلمين يقدرون قدرها ، ويستذكرون عهدها ، فتذكى فى نفوسهم مجد الاسلام التالد ، بعد أن بددوا تراثه الخالد .

ولعل فى ذلك عبرة وذكرى ، والذكرى تنفع المؤمنين .

Upload by: altawhedmag.com

التضامن الإسلامى

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

رئيس البحوث والافتاء والدعوة والارشاد

بالمملكة العربية السعودية

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده ، أما بعد:

فلا ريب أن الله سبحانه خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له كما قال عز وجل (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وقال تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بهذه العبادة ، وبعث الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وأنزل الكتب لبيان هذا الحق ، وتفصيله ، والدعوة اليه ، كما قال عز وجل (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) وقال سبحانه (وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه) ومعنى قضى فى هذه الآية : أمر ووصى ، وقال تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) وقال سبحانه (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال سبحانه (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون) وقال تعالى (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، أن لا تعبدوا الا الله ، اننى لكم منه نذير وبشير) ، وقال تعالى (هذا بلاغ للناس ولينذروا به ، وليعلموا أنما هو اله واحد وليتذكر أولو الالباب) .

ففى هذه الآيات الكريمات الامر بعبادته سبحانه ، والتصريح بأنه خلق الثقلين لهذه العبادة ، وأرسل الرسل وأنزل الكتب لبيانها ، والدعوة اليها ، وحقيقة هذه العبادة : هى طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، بالاخلاص لله فى جميع الاعمال ، والامتثال لاوامره ، والحذر من نواهيه، والتعاون فى ذلك كله ، وتوجيه القلوب اليه سبحانه ، وسؤاله عز وجل جميع الحاجات عن ذل وخضوع ، وايمان واخلاص ، وصدق وتوكل عليه

Upload by: altawhedmag.com

سبحانه ، ورغبة ورهبة ، مع القيام بالاسباب التى شرعها لعباده ، وأمرهم بها ، وأباح لهم مباشرتها • وبهذا كله يستقيم أمر الدنيا والدين وتنتظم مصالح العباد فى أمر المعاش والمعاد • ولا صلاح للعباد ، ولا راحة لقلوبهم ، ولا طمأنينة لضمائرهم ، الا بالاقبال على الله عز وجل ، والعبادة له وحده ، والتعظيم لحرماته ، والخضوع لاوامره ، والكف عن مناهيه ، والتواصى بينهم بذلك ، والتعاون عليه ، والوقوف عند الحدود التى حد لعباده ، كما قال عز وجل (تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ، خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ، ويتعد حدوده ، يدخله نارا خالدا فيها ، وله عذاب مهين) •

ومن المعلوم أنه لا يتم أمر العباد فيما بينهم ، ولا تنتظم مصالحهم ولا تجتمع كلمتهم ، ولا يهابهم عدوهم ، الا بالتضامن الاسلامى الذى حقيقته التعاون على البر والتقوى ، والتكافل والتناصر ، والتعاطف والتناصح ، والتواصى بالحق ، والصبر عليه ، ولا شك أن هذا من أهم الواجبات الاسلامية ، والفرائض اللازمة ، وقد نصت الآيات القرآنية ، والاحاديث النبوية ، على أن التضامن الاسلامى بين المسلمين — أفرادا وجماعات ، حكومات وشعوبا — من أهم المهمات ، ومن الواجبات التى لا بد منها لصلاح الجميع ، واقامة دينهم ، وحل مشاكلهم ، وتوحيد صفوفهم ، وجمع كلمتهم ضد عدوهم المشترك •

والنصوص الواردة فى هذا الباب من الآيات والاحاديث كثيرة جدا ، وهى وان لم ترد بلفظ التضامن فقد وردت بمعناه وما يدل عليه عند أهل العلم ، والاشياء بحقائقها ومعانيها لا بألفاظها المجردة ، فالتضامن معناه التعاون والتكاتف ، والتكافل والتناصر والتواصى ، وما أدى هذا المعنى من الالفاظ ، ويدخل فى ذلك الامر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والدعوة الى الله سبحانه ، وارشاد الناس الى أسباب السعادة والنجاة ، وما فيه صلاح أمر الدنيا والآخرة ، ويدخل فى ذلك أيضا تعليم الجاهل ، واغاثة الملهوف ، ونصر المظلوم ، ورد الظالم عن

Upload by: altawhedmag.com

ظلمه ، واقامة الحـدود ، وحفظ الامن ، والاخذ على أيدى المفسدين المخربين ، وحماية الطرق بين المسلمين داخلا وخارجا ، وتوفير المواصلات البرية والبحرية والجوية ، والاتصالات السلكية واللاسلكية بينهـم ، لتحقيق المصـالح المشتركة الدينية والدنيوية ، وتسهيل التعـاون بين المسلمين فى كل ما يحفظ الحق ، ويقيم العدل ، وينشر الامن والسلام فى كل مكان ، ويدخل فى التضامن أيضا : الاصلاح بين المسلمين ، وحل النزاع المسلح بينهم ، وقتال الطائفة الباغية حتى تفىء الى أمر الله ، عملا بقول الله عز وجل (فاتقوا الله وأصـلحوا ذات بينكم) وقوله سبحانه (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله . فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، ان الله يحب المقسطين ، انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون) .

ففى هذه الآيات الكريمات أمر الله المسلمين جميعا بتقواه سبحانه، والقيام بالاصلاح بينهم عموما ، وبالاصـلاح بين الطائفتين المقتتلتين منهم خصوصا ، وقتال الطائفة الباغية حتى ترجع عن بغيها ، وأن يكون الصلح على أسس سليمة قائمة على العدل والانصاف لا على الميل والجور، وفيها التصريح بأن المؤمنين جميعا اخوة وان اختلفت ألوانهم ولغاتهم وتناءت ديارهم . فالاسلام يجمعهم ، ويوحد بينهم ، ويوجب عليهم العدل فيما بينهم ، والتصافى والـكف من عدوان بعضهم على بعض ، ويوجب على اخوانهم الاصلاح بينهم اذا تنازعوا ، ثم ختم الله سبحانه هذه الآية بالامر بالتقوى ، وعلق الرحمة على ذلك فقال (واتقوا الله لعلكم ترحمون) فدل ذلك على أن تقوى الله فى كل الامور ، هى سبب الرحمة ، والعصمة ، والنجاة ، وصلاح الاحوال الظاهرة والباطنة .

ويدخل فى التضامن أيضـا تبادل التمثيل السياسى ، أو ما يقوم مقامه بين الحكومات الاسلامية ، لقصد التعاون على الخير ، وحل المشاكل التى قد تعرض بينهم بالطرق الشرعية ، واختيار الرجال الاكفاء فى عملهم ودينهم وأمانتهم لهذه المهمة العظيمة .

Upload by: altawhedmag.com

ويدخل فى التضامن أيضا توجيه وسائل الاعلام الى ما فيه مصلحة الجميع ، وسعادة الجميع ، فى أمر الدين والدنيا ، وتطهيرها مما يضاد ذلك ، ومما ورد فى هذا الاصل الاصيل — وهو التضامن الاسلامى ، والتعاون على البر والتقوى — قوله عز وجل (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) أمر الله سبحانه فى هذه الآية الكريمة عباده المؤمنين بأن يتقوه حق تقاته ، ويستمروا على ذلك ، ويستقيموا عليه حتى يأتيهم الموت وهم على ذلك ، وما ذاك الا لما فى تقوى الله عز وجل من صلاح الظاهر والباطن ، وجمع الكلمة ، وتوحيد الصف ، واعداد العبد لان يكون صالحا مصلحا ، وهاديا مهديا ، باذلا النفع لاخوانه ، كافا للاذى عنهم ، معينا لهم على كل خير ، ولهذا أمر الله المؤمنين بعد ذلك بالاعتصام بحبله فقال (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وحبل الله سبحانه هو دينه الذى أنزل به كتابه الكريم ، وبعث به رسوله الامين ، محمدا صلى الله عليه وسلم ، والاعتصام به هو التمسك به ، والعمل بما فيه ، والدعوة الى ذلك ، والاجتماع عليه ، حتى يكون هدف المسلمين جميعا ، ومحورهم الذى عليه المدار ، ومركز قوتهم هو اعتصامهم بحبله ، وتحاكمهم اليه ، وحل مشاكلهم على نوره وهداه ، وبذلك تجتمع كلمتهم ، ويتحد هدفهم ، ويكونون ملجأ لكل مسلم فى أطراف الدنيا ، وغوثا لكل ملهوف ، وقلعة منيعة ، وحصنا حصينا ضد أعدائهم • وبهذا الاجتماع ، وهذا الاتحاد ، وهذا التضامن ، تعظم هيبتهم فى قلوب أعدائهم ، ويستحقون النصر والتأييد من الله عز وجل ، ويحفظهم سبحانه من مكائد العدو — مهما كانت كثرته — كما وقع ذلك (بالفعل) لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضى الله عنهم ، وأتباعهم باحسان فى صدر هذه الامة ، ففتحوا البلاد ، وسادوا العباد ، وحكموا بالحق ، وحقق الله لهم وعده الذى لا يخلف كما قال عز وجل (ياأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) — وقال سبحانه (ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الامور) وقال

Upload by: altawhedmag.com

تعالى (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) وقال سبحانه (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا) وقال تعالى (وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط) ففى هذه الآيات الكريمات حث المسلمين وتشجيعهم على التمسك بدينهم ، والقيام بنصره ، وذلك هو نصر الله ، فانه سبحانه وتعالى فى غاية الغنى عن عباده ، وانما المراد بنصره هو نصر دينه وشريعته وأوليائه ، والله ناصر من نصره ، وخاذل من خذله ، وهو القوى العزيز • وفى هذه الآيات أيضا البشارة العظيمة بأن الله عز وجل ينصر من نصره ، ويستخلفه فى الارض ، ويمكن له ، ويحفظه من مكائد الاعداء •

فالواجب على المسلمين جميعا أينما كانوا هو الاعتصام بدين الله، والتمسك به ، والتضامن فيما بينهم ، والتعاون على البر والتقوى ، ومناصحة من ولاه الله أمرهم ، والحذر من أسباب الشقاق والخلاف ، والرجوع فى حل المشاكل الى كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، والتواصى فى ذلك كله بالحق والصبر عليه ، مع الحذر من طاعة النفس والشيطان ، وبذلك يفلحون وينجحون ، ويسلمون من كيد أعدائهم ، ويكتب الله لهم العز والنصر ، والتمكين فى الارض ، والعاقبة الحميدة ، ويؤلف بين قلوبهم ، وينزع منها الغل والشحناء ، وينجيهم من عذابه يوم القيامة ، وفى هذا المعنى يقول النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح (ان الله يرضى لكم ثلاثا : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم) أخرجه مسلم فى صحيحه •

ومما ورد فى التضامن الاسلامى قوله جل وعلا (وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، واتقوا الله ان الله شديد العقاب) وهذه الآية الكريمة من أصرح الآيات فى وجوب التضامن الاسلامى ، الذى حقيقته ومعناه التعاون على البر والتقوى كما سلف

Upload by: altawhedmag.com

بيان ذلك ، وفيها تحذير المسلمين من التعاون على الاثم والعدوان ، لما فى ذلك من الفساد الكبير ، والعواقب الوخيمة ، والتعرض لغضب الله سبحانه ، وتسليط الاعداء ، وتفريق الكلمة ، واختلاف الصفوف ، وحصول التنازع المفضى الى الفشل والخذلان — نسأل الله للمسلمين العافية من ذلك . وفى قوله سبحانه فى ختام الآية (واتقوا الله ان الله شديد العقاب) تحذير للمسلمين من مخالفة أمره ، وارتكاب نهيه ، فينزل بهم عقابه الذى لا طاقة لهم به .

ومن الآيات الواردة فى التضامن أيضا قوله عز وجل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله) وهذه الصفات العظيمة هى جماع الخير ، وعنوان السعادة ، وسبب صلاح أمر الدنيا والآخرة ، ولهذا علق سبحانه وتعالى رحمتهم على هذه الصفات الجليلة فقال (أولئك سيرحمهم الله ، ان الله عزيز حكيم) فتبين بذلك أن الرحمة والنصر على العدو ، وسلامة العاقبة ، كل ذلك مرتب على القيام بحق الله وحق عباده ، ولا يتم ذلك الا بالتناصح ، والتعاون ، والتضامن ، والصدق فى طلب الآخرة ، والرغبة فيما عند الله ، والانصاف من النفس ، وتحرى سبيل العدل ، وفى هذا المعنى يقول الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ، ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين ، ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وأن تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا) ويقول عز وجل فى سورة المائدة (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله ، شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ، ان الله خبير بما تعلمون) وفى هاتين الآيتين أمر المؤمنين أن يقوموا لله بالقسط ، وأن يشهدوا له بذلك فى حق العدو والصديق ، والقريب والبعيد ، وتحذيرهم من أن يحملهم الهوى أو البغضاء على خلاف العدل ، وأوضح سبحانه أن العدل هو أقرب للتقوى ، فدل ذلك على أنه لا صلاح للمسلمين فيما بينهم ، ولا استقامة ، ولا وحدة كلمة ، الا بالعدل واعطاء كل ذى حق حقه .

Upload by: altawhedmag.com

ولما أخل المسلمون بهذا الامر العظيم حصل بينهم من الشحناء والفرقة والاختلاف اليوم ما لا يخفى على أحد ، ولا علاج لذلك ولا دواء له الا الرجوع الى دين الله ، والاعتصام به ، والعمل به ، وتحكيمه ، والتحاكم اليه فى كل ما شجر بينهم ، كما قال الله عز وجل (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) وقال تعالى (يأيها الذين آمنوا : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، وأولى الامر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا) .

ومما ورد من الاحاديث الشريفة فى التضامن الاسلامى الذى هو التعاون على البر والتقوى قول النبى صلى الله عليه وسلم (الدين النصيحة) قيل لمن يا رسول اله قال (لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم) أخرجه مسلم فى صحيحه ، وقوله صلى الله عليه وسلم (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) وشبك بين أصابعه ، وقوله صلى الله عليه وسلم (مثل المسلمين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) أخرجهما البخارى ومسلم فى صحيحيهما . فهذه الاحاديث وما جاء فى معناها تدل دلالة ظاهرة على وجوب التضامن بين المسلمين ، والتراحم ، والتعاطف ، والتعاون على كل خير ، وفى تشبيههم بالبناء الواحد ، والجسد الواحد ، ما يدل على أنهم بتضامنهم وتعاونهم وتراحمهم تجتمع كلمتهم ، وينتظم صفهم ، ويسلمون من شر عدوهم ، وقد قال تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) ومام الجميع فى هذه الدعوة الخيرة وقدوتهم فى هذا السبيل القيم ، هو نبيهم وسيدهم وقائدهم الاعظم ، نبينا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو أول من دعا هذه الامة الى توحيد ربها ، والاعتصام بحبله ، وجمع كلمتها على الحق ، والوقوف صفا واحدا فى وجه عدوها المشترك ، وفى تحقيق

Upload by: altawhedmag.com

مصالحها وقضاياها العادلة ، عملا بقوله تعالى خطابا له (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن) وقوله عز وجل : (قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) وقد سار على نهجه القويم ، صحابته الكرام ، وأتباعهم باحسان رضى الله عنهم وأرضاهم ، فنجحوا فى ذلك غاية النجاح ، وحقق الله لهم ماوعدهم به من عزة وكرامة ونصر ، كما سبق التنبيه على ذلك والاشارة اليه فى أول هذه الكلمة .

ولا ريب أن الله عز وجل انما حقق لهم ما تقدمت الاشارة اليه بايمانهم الصادق ، وجهادهم العظيم ، وأعمالهم الصالحة ، وصبرهم ومصابرتهم ، وصدقهم فى القول والعمل ، وتضامنهم وتكاتفهم فى ذلك ، لا بأنسابهم ولا بأموالهم كما قال تعالى : (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى ، الا من آمن وعمل صالحا ، فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا ، وهم فى الغرفات آمنون) وكما قال النبى صلى الله عليه وسلم (من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه) وقال عليه الصلاة والسلام (ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم) أخرجهما مسلم فى صحيحه فمن سار على سبيلهم ونهج نهجهم ، أعطاه الله كما أعطاهم ، وأيده كما أيدهم ، فهو القائل عز وجل فى كتابه المبين (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ، ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) وهو القائل سبحانه (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، انهم لهم المنصورون ، وان جندنا لهم الغالبون) وهو القائل عز وجل (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) .

والله عز وجل المسئول أن يجمع كلمة المسلمين على الهدى ، وأن يفقههم فى دينه ، وأن يصلح ولاة أمرهم ، ويهديهم جميعا صراطه المستقم وأن يمنحهم الصدق فى التضامن بينهم ، والتناصح والتعاون على الخير ، وأن يعيذهم من التفرق والاختلاف ، ومضلات الفتن ، وأن يحفظهم من مكائد الاعداء ، انه ولى ذلك والقادر عليه ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

Upload by: altawhedmag.com

قليل من الحياء

للدكتور جابر الحاج

نشرت جريد الاهرام فى عدد يوم الجمعة ١٣ ذى القعدة ١٣٩٦ الموافق ٥ نوفمبر ١٩٧٦ فى صفحتها الاخيرة ــ صورة فاضحة لرئيس مجلس ادارتها ورئيس تحريرها يوسف السباعى وهو يطبع قبلة على فم دولت أبيض .

منظر ليس لدى ما أصفه به الا أنه عمل فاضح ، وحين يصدر العمل الفاضح من رئيس تحرير جريدة كبرى ، يزداد قبحه ويعظم وزره .

قال بعض من شاهدوا الصورة ان دولت أبيض طاعنة فى السن ، فقلت : أفلا كان الاولى بها أن تستعفف وتخجل من سنها ؟ فلا تسلم شفتيها ، وتسبل عينيها ، وتنسى المشاهدين من حولها ، والمصورين المتربصين بكل منظر غير مألوف ؟

لا أخاطب ايمان هؤلاء الناس ، فالحياء شطر الايمان ، ولا ايمان لمن لا حياء عنده ، وانما أخاطب الفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها ، وأغوص فى أعماق التاريخ ، لارى فارسا ذاع صيته ، وطافت شهرته ، وسجل التاريخ بأسه وشجاعته وقوته ، ذلك هو عنتر بن شداد ، الفارس الذى احترمه أعداؤه ، وأحبه أصدقاؤه ، ولم يكن احترامهم وحبهم لفروسيته وشجاعته فحسب ، وانما لحيائه ، وحسن خلقه ، فاسمعه يقول :

وأغض طرفى ان بدت لى جارتى
حتى يوارى جارتى مأواها

ماذا ينتظره المجتمع من رئيس تحرير جريدة يقبل على نفسه هذا العمل الفاضح ، وتنشره جريدته له ؟ وكان فى امكانه أن يمنع نشره

Upload by: altawhedmag.com

لو أراد .. وكان فى امكانه تدارك الامر لو أن قبلتـــه « للفنانة » كانت مجرد عطف ، أو عاطفة لم يقدر عواقبها ، وكان يكتفى بحصر العمـــل الفاضح فى محيط الذين حضروه وشاهدوه ..ولا يباهون هكذا بشرورهم وآثامهم ..

أليس لهؤلاء « الفنانات » رجال يغارون عليهن ... ؟

أليس لهن أقارب ينقذونهن من التردى فى المهالك حتى الممات ؟

رحم الله حسان بن ثابت القائل :

أصـــون عرضى بمـــــالى لا أدنســـه

لا بارك الله بعـــد العـــرض فى المـــال

أحتـــال للمـــــال أن أودى فأجمعـــه

ولست للعـــرض ان أودى بمحتـــال

وأخيرا أقول « حسبنا الله ونعم الوكيل » فيمن يقول الله تعالى فيهم « أو لا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ، ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون » صدق الله العظيم .

دكتور

جابر الحاج

اخصائى الاذن والحنجرة بالزقازيق

المقال القادم لفضيلة الشيخ محمد على عبد الرحيم سيكون بمشيئة الله تعالى عن (حكم الصلاة فى المساجد ذات القبور) وذلك ردا على سؤال الاخ عصام محمود يوسف الطالب بجامعة القاهرة ــ كلية الزراعة مع أطيب التحيات .

مجلة التوحيد

Upload by: altawhedmag.com

من كلمات . . .
مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية

الشيخ محمد حامد الفقى رحمه الله تعالى

حينما أسس الجماعة عام ١٣٤٥ هـ

كان جديرا بمن استيقن حقيقة ما وصل اليه الاسلام وأهله من غربة ، وما نالهم من ذلة ومهانة وخسار عن طريق هذه الغربة : أن يقوموا بأعظم قسط فى العمل على اعادة الاسلام الى ما كان عليه من قوة فى النفوس واستقرار فى القلوب .

رأيت حين خالطت العامة فى المساجد ، أن عندهم قبولا للحق ، واستعدادا للدين ، وأنهم لا يحول بينهم وبين الخير ، الا المحترفون للدين من الجهلاء ، الذين يظنون أنهم على علم ، وهم عن العلم بعيدون ، فبذلت النصح ، ورفعت لهم مصباح القرآن الكريم ، فأضاء بصائرهم ، وكشف عنها غشاوة الجهل والبدع ، ونهجت لهم طريق السنة النبوية المطهرة ، فسارعوا اليه عدوا بقلوب فرحة ، وصدور منشرحة ، فقام المقلدون من عبدة الطاغوت يضعون العقبات فى الطريق ، ويحاولون اطفاء نور الله بظلام الجهل والبدع ، ولكن الله يأبى الا أن يتم نوره ولو كره الجاهلون ، وكانوا كلما رأوا انتشار نور الهدى ، وانقشاع غياهب البدع ازدادوا غيظا وحنقا ، فضاعفوا الكيد ، والله غالب على أمره ، والله لا يهدى كيد الخائنين .

قدس الله روحه . وجزاه عن دعوة التوحيد خير جزاء . وأسكنه برحمته مع عباده الصالحين .

Upload by: altawhedmag.com

متى ننصف ابن تيمية ؟

بقلم محمد عبد الله السمان

رسالتان من الرسالات التى نوقشت فى جامعة الازهر للحصول على درجة الدكتوراه ، حمل الطالب فى الاولى على ابن تيمية دون اعتراض عليه من أعضاء اللجنة ، وهيأ له وهمه أنه من أقران امام فقيه مثل الامام ابن تيمية ، أما الطالب الآخر فقد اهتم فى رسالته بالامام ابن تيمية اهتماما يليق بقدره ، كامام من أئمة أهل السنة ، وفقيه من رجالات الفقه ، ومصلحا اجتماعيا من كبار المصلحين الاجتماعيين الاسلاميين ، وقد أبدى على هذا الاهتمام اعتراضه أحد أعضاء اللجنة المناقشة ، قائلا للطالب : لقد بالغت فى اهتمامك بابن تيمية .

والمفروض أن الرسائل الجامعية رسائل علمية ، وأن الاساتذة الذين يوكل اليهم أمر مناقشة الرسائل حياديون ، تقف مهمتهم عند حدود مناقشة الرأى وتقويم الفكر ، ولا تتجاوزهما الى محاسبة الطالب على ميوله أو ما يعتقده عن ايمان وبصيرة ، والمفروض ثانيا أن الجاهل أو المتعالم ، لا يعتبر كلامه محسوبا عليه ، حيث لا اعتبار لما يرى ولا وزن لما يقول ، أما العالم — ولا سيما — من يكن الناس له فى نفوسهم تقديرا فان كلامه محسوب عليه ، حيث الاعتبار لما يقول ولما يكتب ..

هذه مقدمة ، قبل أن نعرض لاصل القضية التى سنطرحها ، والتى دفعنى الى اثارتها على صفحات مجلة «التوحيد» ما نشر فى جريدة الجمعة بالاخبار فى ٥/١١/١٩٧٦ ، فقد وجه اليها المواطن المسلم السيد / رجب البهنساوى هذا السؤال : « أديت فريضة الحج فى العام الماضى ، ولم تكمننى الظروف من زيارة المدينة المنورة ، فهل يعتبر حجى قد نقص فى بعض أعماله أو فى ثوابه ؟ وقد أحالت الجريدة هذا السؤال للاجابة عنه ، الى فضيلة الاستاذ الدكتور زكريا البرى أستاذ الشريعة بكلية حقوق القاهرة ، وكان مما جاء فى اجابته : « أن هذه الزيارة ليست جزءا من شعيرة الحج ، وعدم القيام بها ، لا ينقص ثوابه الكامل » وهذا حق لاجدال فيه ، ثم نبه فضيلته بهذه المناسبة ، الى أن بعض العامة حين يسافرون للحج ، لا تكاد تتجه نيتهم الى الفريضة الدينية وهى

Upload by: altawhedmag.com

الحج الى بيت الله الحرام .. فتسمع منهم أنهم نووا زيارة النبى ، كما تسمع منهم بعد العودة نحو ذلك .

والحق مع الدكتور زكريا البرى ، فكثير من المسلمين البسطاء لا ينوون تأدية شعائر الحج ، وانما ينوون زيارةقبر الرسول عليه السلام، ولقد قرأت بنفسى فى قريتنا كتابات واضحة على واجهة أحد المنازل مؤداها : هذا منزل فلان .. الذى زار قبر الرسول ـ عليه السلام ـ سبع مرات ، وقد يكون هناك تقصير لدى شباب الازهر فى القرى ، حيث كان من الواجب عليهم أن يبصروا السذج من المسلمين بشعيرة الحج ، ولكن يجب ألا نتجاهل مدى تعصب هؤلاء السذج للعاطفة المتطرف فيها ..

قلت : ان اجابة الدكتور زكريا فى معظمها ـ مع شىء من التحفظ ـ اجابة لا غبار عليها ، لكن فضيلته ختم اجابته بقوله :

« واذا كان الفقيه ابن تيمية ـ مخالفا جماهير علماء المسلمين ـ لم ير استحباب هذه الزيارة ، بناء على سلوك العوام ، وعلى ما ذهب اليه من عدم صحة هذه الاحاديث الواردة فى الترغيب فيها ، فان فى تبصير الحجيج بأحكام الحج وحكمته ، وأحكام الزيارة النبوية وحكمتها ما يكفى ويشفى .. ! » .

ونحن هنا يهمنا فى المقام الاول ، أن نبرىء ساحة الامام الفقيه ابن تيمية من هذه الشبهة المختلقة من أساسها ، وهى أن الامام لا يرى استحباب زيارة الرسول ـ مخالفا جماهير الفقهاء ـ ومثل هذه الشبهة أثارها من قبل خصوم لابن تيمية ، ومنهم ابن حجر الهيثمى الذى كان من أشياع التصوف ـ وهو غير ابن حجر الفقيه مؤلف « **فتح البارى** فى شرح صحيح البخارى » ومنهم أيضا تقى الدين السبكى ، الذى ألف كتابا أسماه « شفاء السقام فى زيارة خير الانام » وهو خليط من الحشو والمغالطات ، وقد تولى الرد على هذا الكتاب العلامة المقدسى فى كتاب اسماه « الصارم المنكى فى الرد على السبكى » والعجيب أن لابن تيمية كتابا اسمه « الجواب الباهر » لمن سأل من أولياء الامور عما أفتى به فى زيارة المقابر ، قال فيه بما يدحض كل شبهة أثارها خصومه حول زيارة الرسول ، قال رحمه الله رحمة واسعة :

Upload by: altawhedmag.com

« قد ذكرت فيما كتبته من المناسك : أن السفر الى مسجده وزيارة قبره ـ كما يذكره أئمة المسلمين فى مناسك الحج ـ عمل صالح مستحب » .

وقد عرض رحمه الله لمسألة السفر الى المسجد النبوى ، وهو أحد المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال الا اليها ، كما جاء فى الحديث الصحيح ، فقال رحمه الله : « والصلاة تقصر فى هذا السفر المستحب باجماع المسلمين ، لم يقل أحد من أئمة المسلمين : ان هذا السفر لا تقصر فيه الصلاة ، ولا نهى أحد عن السفر الى مسجده ـ وان كان المسافر الى مسجده يزور قبره عليه السلام » .

والذى يراه الامام ابن تيمية ، أن النية يجب أن تنعقد على زيارة المسجد والصلاة فيه ، ولا مانع من زيارة القبر والقاء السلام على الرسول ، وهكذا كان يفعل ابن عمر ، يقول بعد الصلاة فى المسجد والاتجاه الى القبر : السلام عليك يا رسول الله .. السلام عليك يا أبابكر .. السلام عليك يا أبى .. ثم ينصرف ، أما انعقاد النية ـ فحسب ـ على زيارة القبر ، فهذا مالا يراه بعض الفقهاء ومنهم الامام مالك الذى كره أن يقال : « زرت قبر النبى عليه السلام ، لان المقصود الشرعى بزيارة القبور : السلام عليهم والدعاء لهم ، وذلك السلام والدعاء قد حصل على أكمل الوجوه فى الصلاة ، فى مسجده عليه السلام ـ وفى غير مسجده ، وعند سماع الاذان ، وعند كل دعاء » .

ويهمنا فى المقام الثانى أن نوضح أن الاحاديث النبوية التى تحبب فى زيارة قبره عليه السلام ، لم تصح عند ابن تيمية وكذا عند غيره ، فقد تكلم فيها رجال الحديث ، ومن أبرز هذه الاحاديث : « من زار قبرى وجبت له شفاعتى » وحديث : « من وجد سعة فلم يفد الى فقد جفانى » وحديث : « من حج فلم يزرنى فقد جفانى » ثم حديث : « من حج حجة الاسلام ، وزار قبرى ، وغزا غزوة ، وصلى على فى بيت المقدس لم يسأله الله عما افترض عليه » هذه الاحاديث وما اليها تكلم فيها رجال الحديث ، وللمستزيد أن يطلع على كتاب « الفوائد المجموعة فى الاحاديث الموضوعة » للشوكانى ، و « اللآلىء المصنوعة فى الاحاديث الموضوعة » للسيوطى ، ثم « مشكاة المصابيح » للتبريزى ، وغيرها ..

Upload by: altawhedmag.com

خامسا : سد باب الاجتهاد .. وما ترتب عليه

بقلم : عبد الكريم الخطيب

- ١ -

لقيت الدعوة الى سد باب الاجتهاد فى أواخر القرن الثالث الهجرى استجابة من الغيورين على دين الله ، وشريعة الاسلام ، وذلك حين أصبح الدين نهبا مشاعا لذوى النفوس المريضة ، من الذين اتخذوا من الدين تجارة رائجة فى دنيا استبد فيها سعار المادة ، وتكالب ذوى الاهواء على المال ، والسلطان ، وما وراء المال والسلطان من اقتدار على من اشباع للشهوات ، واقتناص اللذات .. وكان الدين فى يد العابثين به ، المتحللين من شريعته طريقا سهلا الى هذه الغاية ، فكثر أدعياء العلم المتزيين بزى الفقهاء ، وأصحاب الفتيا فى شرع الله بغير علم ، وبغير دين ..

فكان الذين دعوا الى سد باب الاجتهاد ، والوقوف بأحكام الشريعة عند الحق الذى انتهى عليه عصر أئمة الفقه — انما يريدون أن يقفوا فى وجه هذه الضلالات الزاحفة على الشريعة الاسلامية ، وأن يوقفوا هذا النزيف الذى يمتص دم الحياة منها ، واذ لم يكن من الممكن علاج الداء، فلا أقل من أن تلتمس الوسيلة التى تقف به عند حده .. واذ لم يكن من المستطاع مد الشريعة بدم جديد يسرى فى عروقها ، فليكن من الحكمة أن يحال بينها وبين تلك الدماء الفاسدة الغزيرة أن تنفذ اليها ..

وسواء أنجح هذا التدبير الداعى الى سد باب الاجتهاد ، النجاح الذى كان مرجوا منه فى وقف تيار المقولات المضللة المحسوبة على الدين، أم لم ينجح ، فانه — على أى حال — كان أمرا لا بد منه ، اذا لم يكن فى الامكان متجه آخر غيره ، حيث كانت قد سدت المسالك ، وبلغ السيل الزبا .. وانه اذا عد هذا موقفا سلبيا ، فانه على ما به قد حمل الناس على التشكك فيما يأتيهم من خارج المقولات المأخوذة من أئمة المذاهب الفقهية الاربعة ، التى وثق بها المسلمون ، واطمأنوا اليها ، ورضوا بها ..

Upload by: altawhedmag.com

ولكن حين ينظر الى سد باب الاجتهاد ، خارج نطاق الفترة التى اقتضتها ملابسات الظروف والاحوال التى دعا فيهـا الداعون اليه — يظهر الخطر الذى يتهدد الشريعة الاسلامية ، بما ينضح على العـالم الاسلامى من آثاره السيئة ، وذلك من وجوه ..

فأولا : أن الحياة فى تطـور وتغير ، وأن الحوادث والواقعـات لا تحصر .. ومن غير المعقول أن تجىء شريعة سماوية بكل كبيرة وصغيرة تقع فى الحياة ، وترسم الطريق ، وتبين الحكم فيها ، اللهم الا اذا كانت تلك الشريعة لوقت موقوت ، ولعدد من الناس محدود ، — وهذا غير وارد أيضا — فكيف اذا كانت الشريعة عامة لجميع الناس والاجناس ، ممتدة فى الزمان الى آخر الحياة المقدورة للناس على هذه الارض ؟ ..

وثانيا : اذا كان الامر على ماذكرنا ، فقد اقتضت حكمة الله تعالى أن تجىء شريعة الاسلام بالاصول العامة للحياة من حلال وحرام أما الفروع والجزئيات ، فقد ترك للناس أخذ حلالها وترك حرامها بردها الى تلك الاصول .. فما جانس تلك الاصول وشابهها ، انضـم لها ، وصحة نسبته اليها ، فما كان من الحلال كان حلالا ، وما كان من الحرام كان حراما .. وهذا ما يشير اليه الرسول الكريم فى قوله : « الحلال بين ، والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهة ، فمن ترك ما شبه من الاثم كان لمـا استبان أترك ، ومن اجترأ على ما يشك فيه من الاثم أو شك أن يواقع ما استبان » .

وكون الحلال بينا ، والحرام بينا ، معناه أن فى كل منهما سمات تنم عليه ، وتحدث عنه .. كالنور والظلام ، لا يختلف عليهما الناس ، ولا يقع فى شبهة منهما الا من فقد بصره ، كذلك الخير والشر ، والحق والباطل ، لا يزيغ عنهما الا من أعماه هواه ، وختم الله على قلبه وسمعه ، وجعل على بصره غشاوة ، ولهذا كانت دعوة الاسلام قائمة على الامر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، كما جاء ذلك فى قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » .

Upload by: altawhedmag.com

وأما أن بين الحلال والحرام مشتبهات ، مما لا يعلمهن كثير من الناس ، فذلك هو الذى يقع الخلاف فيه ، وتتعدد وجوه النظر اليه ، وذلك هو الذى يحتاج الى نظر وتدبر ، يعين عليهما علم وفقه ، حيث يكون الامر فى منطقة بين الحلال والحرام ، فلا يستبين وجهه الا لذى بصيرة نافذة ، وقلب سليم ، كاشراقة الفجر ، مع غبشة الليل ، لا يفرق بين الفجر الصادق أو الكاذب ، الا أهل البصر والخبرة .

وثالثا : أن فى الانسان عقلا ، ومن شأن هذا العقل أن ينظر فيما يعرض له ، وأن يفكر ويقدر فيما يفعله أو يدعه ، وأن العمل الذى يأتيه عن غير وعى له ، واحساس به ، هو عمل آلى ، لا تقوم وراءه ارادة ، ولا تنفعل به ، عاطفة ، ولا تستجيب لندائه رغبة ، وعمل كهذا لا تثبت له أصول ، ولا يطلع له زهر أو ثمر .. ولهذا كانت « النية » فى شريعة الاسلام أصلا من أصول هذه الشريعة ، بل هى مستند كل عمل ودعامته .. وفى هذا يقول الرسول الكريم : « انما الاعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها ، فهجرته الى ما هاجر اليه » .

وهل تنعقد نية عن غير فهم ، وتقدير ، وتدبير لما ينتويه الانسان؟ وهل الاجتهاد الا نظر ، وبحث عن الدليل الذى يأخذ منه المؤمن الحكم الشرعى لما يعرض له من أمور دينه أو دنياه ؟ ..

وهذا ايجاز يحتاج الى تفصيل ..

يقول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول ، وأولى الامر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ، ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا » (١) .

وقد بينت هذه الآية الكريمة ، أصول الدين وشريعته ، والحكومة الاسلامية .. وهذه الاصول هى :

---

(١) سورة النساء : ٥٩

Upload by: altawhedmag.com

الاصل الاول : كتاب الله ، وهو القرآن الكريم ..

والاصل الثانى : سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، القولية، والفعلية ، والتقريرية ..

والاصل الثالث : اجماع أولى الامر ، وهم أهل الحل والعقد ، الذين تثق بهم الامة من أهل العلم ، والرأى ، والخبرة ..

الاصل الرابع : وهو عرض المسائل المتنازع فيها على القواعد العامة المعلومة من الكتاب والسنة .

وهذا الاصل الرابع ، والاصل الذى سبقه ، هو الذى يجرى عليه البحث والنظر ، ويقع فيه الاجتهاد .. وذلك حين يعرض أمر ليس فيه نص صريح من كتاب الله ، أو سنة رسول الله ، اذ لا اجتهاد مع النص..

روى أن رسول صلى الله عليه وسلم ، لما بعث معاذ بن جبل الى اليمن ، قا لله : « كيف تقضى اذا عرض لك القضاء ؟ قال : أقضى بكتاب الله .. قال : فان لم يكن فى كتاب الله ؟ قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فان لم يكن فى سنة رسول الله ؟ قال : اجتهد رأيى ولا آلو ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدره (أى صدر معاذ) وقال : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله » وكتب عمر الى شريح ، حين ولاه القضاء ، كتابا جاء فيه : « اذا وجدت شيئا فى كتاب الله ، فاقض به ولا تلتفت الى غيره ، واذا أتى شىء ليس فى كتاب الله ، وليس فى سنة رسول الله ، ولم يقل فيه أحد قبلك ، فان شئت أن تجتهد رأيك فتقدم ، وان شئت أن تتأخر فتأخر ، وما أرى التأخر الا خيرا لك » .

وعن الاعمش ، عن عمارة بن عمير ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، قال: أكثر الناس يوما على عبد الله بن عمر يسألونه ، فقال : أيها الناس انه قد أتى علينا زمان ، ولسنا نقضى ، ولسنا هناك (١) ، فمن ابتلى بقضاء

---

(١) يشير بهذا الى ان امور الناس كانت معلومة لهم من الكتاب والسنة ، ويقول أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما استحسن امور حادثة فى الحياة ، فلم يكن الناس يومئذ فى حاجة الى من يقضى لهم ورسول الله معهم .

Upload by: altawhedmag.com

بعد اليوم ، فليقض بما فى كتاب الله ، فان أتاه ماليس فى كتاب الله ، ولم يقل فيه نبيه فليقض بما قضى به الصالحون (١) ، فان أتاه أمر لم يقض به الصالحون ، وليس فى كتاب الله ، ولم يقل فيه نبيه ، فليجتهد رأيه ، ولا يقولن انى أرى وأخاف (أى أرى الرأى ، وأخاف أن يكون خطأ فلا يقضى به) — فان الحلال بين والحرام بين ، وبين ذلك أمور مشتبهات ، فدعوا ما يريبكم الى ما لا يريبكم » ..

يقول يوسف بن عبد البر القرطبى تعقيبا على هذا الخبر :

« هذا يوضح لك أن الاجتهاد لا يكون الا على أصول — من الكتاب أو السنة — يضاف اليها التحليل والتحريم ، وأنه لا يجتهد الا عالم بها ، ومن أشكل عليه شىء لزمه الوقوف ، ولم يجز له أن يحيل على الله قولا فى دينه لا نظير له من أصل ، ولا هو فى معنى أصل ، وهو الذى لا خلاف فيه بين أئمة الامصار ، قديما وحديثا (٢) .. »

ان معنى ابطال الاجتهاد هو الغاء العقل ، وقتل الملكات الانسانية ، والتحول بالانسان من كائن مكلف ، أى مستقل بارادته وتفكيره ، بما يأتى وما يدع من أمور دينه ودنياه ، الى كائن آلى ، يتحرك بغريزته ، دون تفكير ولا تقدير !! ..

على أن الانسان مدفوع بحكم طبيعته ، وما فيه من قوى عاقلة مدركة ، الى أن يعمل عقله ، ورأيه فى كل شأن من شئونه ، وبهذا يقع الصراع بينه وبين الحياة فيما يطلبه منها ، وهى تأباه عليه ، فلا يهدأ حتى ينتصر ، وينال ما يريد ، أو يلقى الموت .. كما يقع الصراع بينه وبين الناس ، فيما يختلفون فيه ، ويتسابقون اليه . حيث لكل تفكيره وتقديره ، ولكل حوله وحيلته ، كما يقول تعالى : « ولكل وجهة هو موليها » .

فالقول بتحريم الاجتهاد أو ابطاله تحت أى ظرف ، ولاية داعية ، هو مصادمة للطبيعة الانسانية ، وحمل الانسان على ما لا يقدر عليه ، لانه لا يستطيع أن يكف عن التفكير ، وتقليب وجوه الرأى فى كل ما

---

(١) اى اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، وخلفاؤه الراشدون ، لقربهم من النبى ، واخذهم عنه .

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ص ٧١ .

Upload by: altawhedmag.com

يعرض له من كبير الامور وصغيرها سواء فى صلته بخالقه ، أو صلته بالناس ، أو الطبيعة والكائنات جميعا ، ولن يكف الانسان عن هذا ما دام معه عقله ، وما دام فيه نبض الحياة ! ..

ونحن نعلم أن القائلين بسد باب الاجتهاد ، انما يعنون بذلك الاجتهاد فى أمور الدين ، لا فيما يتصل بشئون الحياة وسعى الناس فيها ، وتقلبهم فى ميادين العمل منها .. ونحن نعلم أن سد باب الاجتهاد الذى دعا اليه الداعون منذ قرون انما كان مرادا به ألا يفتى أحد فى المسائل العارضة التى يستحدثها الناس ، وألا يقول رأى الدين فيها ، وأن يقف المسلمون عند ما انتهى اليه أصحاب المذاهب الاربعة : مالك ، والشافعى ، وأبو حنيفة ، وأحمد بن حنبل (عند أهل السنة) ..

ومعنى هذا أنه اذا عرض للمسلمين أمر ، أو جد حدث غير معهود لهم ، ثم أرادوا أن يتبينوا موقف دينهم منه ، من الحل والحرمة ، أو من الاباحة والحظر ، كان عليهم أن يرجعوا الى ما قرره أصحاب المذاهب الاربعة فى هذا الحدث العارض ، فان وجدوا الجواب عندهم أو عند أحدهم ، أخذوا به ، والا توقفوا فيه ، وجمدوا عنده ، وأخلوا أيديهم منه ..

ولقد ترتب على هذا أمور خطيرة منها :

أولا : توقف الحركة العقلية عند المسلمين ، ازاء كل جديد تلده الحياة ، والحياة ولود ، لا تتوقف عن الولادة أبدا ، فهى تلد كل يوم جديدا لم تكن تعرفه الانسانية من قبل .. وكان من هذا أن مضى الناس — من غير المسلمين — يواجهون كل جديد ، ويتعاملون معه ، ويستولدون منه جديدا .. وهكذا سار الناس — من غير المسلمين — قدما مع الحياة ، ووقف المسلمون حيث هم لايبرحون مكانهم الذى كان عليه الآباء والاجداد منذ بضعة قرون ! ..

وثانيا : أن الحياة تدور فى هذا العصر ، فى فلك السرعة المجنونة التى لم يعرفها الناس من قبل ، حيث تلبس كل يوم ثوبا جديدا ، ثم لا تلبث حتى تخلعه لتلبس غيره ، قبل أن تغرب شمس اليوم الذى لبسته

Upload by: altawhedmag.com

فيه .. لا لان هذا الثوب قد بلى ، أو بهت ، وانما هى الرغبة فى التحول السريع من حال الى حال ، تبعا لحركة الحياة المنطلقة انطلاق العاصفة..

ان اليوم فى عصرنا هذا ، ليس أربعا وعشرين ساعة ، كما كنا نعهده ويعهده آباؤنا من قبل ، وانما هو عصر كامل ، حيث يولد الناس كل يوم ميلادا جديدا ، ويستقبلون كل يوم عصرا جديدا ، كان فى حساب الزمن — قبل يومنا هذا — يحسب بمئات السنين ! فابن الامس من أبنائنا ليس هو ابن اليوم ، وابن اليوم لا يكون هو ابن الغد .. والمرء منا ينكر اليوم ما كان عليه بالامس ، كما سينكر غدا ما هو عليه اليوم.. حيث استطاع العلم أن ينسخ فى كل يوم آيات من آياته ، ليستبدل بها غيرها من كل ما هو جديد وطريف ! فمن صحب حركة العلم ، عاش مع الناس فى عصرهم ، ولبس ثوب المدنية والحضارة الذى يلبسونه ، ومن لم يصحب الحياة فى حركتها المنطلقة بالناس ، ظل حيث هو ، مع حياة أبناء الغابات والادغال ، ثم لا على الناس بعد هذا اذا هم لم يحفلوا به، ولم يلتفتوا اليه ، أو اذا هم اعتبروه أداة مسخرة لهم ، كما تسخر الانعام !

وثالثا : أن دعوة الحياة الى الناس ، بالتحرك مع المتحركين فيها ، قد حملت أعدادا غير قليلة من المسلمين على أن يستجيبوا لتلك الدعوة ، ثم انهم اذ لم يجدوا من دينهم — الذى سد عليهم باب الاجتهاد فيه — ما ينير لهم الطريق ، انقادوا لغيرهم ، غير ناظرين الى الدين ، ومن نظر منهم اليه ، نظر اليه نظر مودع الى غير لقاء ، أو صحبه على دخل ونفاق !! ..

— ٣ —

تلك هى بعض ما جنته تلك الدعوة التى سدت على المسلمين باب الاجتهاد ، وأرتهم فى دينهم أنه فى عزلة عن الحياة ، وأنهم اذا تمسكوا به عزلوا عن المجتمع الانسانى ، وما تزخر به الحياة فى هذا العصر من مبدعات العلوم والفنون .

Upload by: altawhedmag.com

والسؤال هنا هو : هل فى الاسلام ، وفى شريعة الاسلام ، ما يحمل المسلم على التوقف فى مسيرة الحياة عند القرن الثالث أو الرابع من الهجرة ، حيث تقررت المذاهب السنية الاربعة ؟ وهل لا يتعامل الدين مع الحياة الا فى اطارها الذى شهده أصحاب المذاهب الاربعة ؟

وننظر فنرى أن هذا أمر أبعد ما يكون عن الاسلام ، وعن شريعة الاسلام ، وأن ذلك ان يكن من الاسلام أو من شريعة الاسلام ، فلن يكون هذا الدين خاتم الرسالات السماوية ، ولن يكون رسوله خاتم النبيين ..

وننظر مرة أخرى ، فنرى أن قيام هذه المذاهب ، هو اعلان صريح ، وشاهد ناطق ، بأن تعددها والخلاف الذى بينها فى الفروع ، هو الدليل على أن الاجتهاد هو الاساس الذى قامت عليه ، والا لكانت مذهبا واحدا ، وقولا واحدا فى هذه الفروع التى اختلفت الائمة فيها ، حيث كان لكل امام اجتهاده ، ورأيه فى مفهوم النص الشرعى ، أو الاثر الذى أقام عليه رأيه فى هذا الامر أو ذاك ، بل ان تلاميذ هؤلاء الائمة خالفوهم ، وقالوا بغير ما يقولون فى كثير من الامور !! ..

وننظر مرة ثالثة ، فنرى أن المعلم الاول ، والامام الاول ، والمبين الاول لشريعة الله ، محمد — صلوات الله وسلامه عليه — قد علمنا الدرس الاول فى الاجتهاد ، وقياس الغائب على الشاهد ، والفرع على الاصل ، حتى نمضى فى طريقنا مع الحياة ، وعرض كل ما يجد فى حياتنا من أحداث ، على الاصول العامة فى شريعتنا الغراء . وانا لن نعدم أبدا مع النظر ، والاجتهاد ، أن نجد الجواب لكل ما يعرض لنا من مشكلات الحياة ، وما تلده من أحداث ؛ الى أن ينتهى دور الانسانية على هذه الارض ! ..

ونذكر هنا ، بعض ما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من دعوة لنا الى النظر ، والاجتهاد :

ففى صحيح مسلم أن ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا يا رسول الله ، ذهب أهل الدثور (١) بالاجور ، يصلون

---

(١) اهل الدثور : اى اصحاب المال والثراء .

Upload by: altawhedmag.com

كما نصلى ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم ولا نتصدق . قال : أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون ؟ ان لكم بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن منكر صدقة ، وفى بضع أحدكم صدقة (١) .. قالوا يا رسول الله ، أيقضى أحدنا شهوته ، ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها - أى شهوته - فى حرام ، أكان عليه وزر؟ فكذلك لو وضعها فى الحلال ، كان له أجر » .

والشاهد فى هذا المقطع الاخير من الحديث الشريف ، وهو فى هذا القياس بين قضاء الشهوة فى حلال ، وقضائها فى الحرام .. ففى قضائها فى الحرام وزر ، واذن يكون لقضائها فى الحلال أجر .. .

وفى الحديث المتفق عليه أن رجلا من فزارة ، جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله .. « ان امرأتى ولدت غلاما أسود !! » .. أى أنه ينكر على زوجته أن تلد هذا الغلام أسود اللون، ليس من جلد أمه أو أبيه .. فبين له الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - أن هذا غير منكر ، وضرب لذلك مثلا من الابل ، وأنها قد تنتج الاورق(٢) اذا نزعه عرق - أى اذا اتصل هذا المولود منها بعرق من عروق أصوله البعيدة .. وكذلك المرأة البيضاء تلد الاسود اذا نزعه عرق من أصوله البعيدة لابيه أو لامه ! ..

وفى حديث عمر رضى الله عنه ، أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن قبلة الصائم امرأته .. فلم يجبه الرسول الكريم جوابا مباشرا عن حل ذلك أو حرمته ، بل ضرب له مثلا يقيس عليه هذا ، فيعلم الحكم فيما سأل عنه ، فقال له صلوات الله وسلامه عليه : « أرأيت لو تمضمض - أى الصائم - بماء ومجه (٣) وهو صائم ؟ فقال عمر : لا بأس ، فقال - صلى الله عليه وسلم ، فكذلك هذا . » . وبهذا القياس يتقرر الحكم ، ويتضح بأجلى صورة ، وأظهر بيان .

---

(١) هو كناية عن مباشرة الرجل زوجه .
(٢) الاورق من الابل الاسود فى غبرة .
(٣) مجه : أى ألقاه من فمه الى الخارج .

Upload by: altawhedmag.com

وفى حديث الخثعمية ، التى سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحج عن أبيهما ، الذى مات ولم يحج : هل يجوز أن تحج عنه ؟فلم يقل لها الرسول ــ صلوات الله وسلامه عليه : حجى عن أبيك ، بل ضرب لها مثلا تتبين منه أن تحج عن أبيها ، قضاء لهذا الدين ، الذى عليه لله ، فقال لها : أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته ، أكان ذلك ينفعه ؟قالت: نعم فقال : فدين الله أحق » !!

وهكذا سلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا المسلك الذى دلهم عليه الرسول الكريم ، فقاسوا الفروع على الاصول ، وردوا الخفى على الجلى ، ولم يأخذوا شيئا من أمورهم من غير أن يردوه الى دينهم ، فكانت دنياهم دينا ، وكانت أقوالهم وأفعالهم يتضوع منها طيب الدين ، وتسرى فيها روحه ، فكان الحق منطقهم ، وكان العمل الصالح النافع ثمرة أيديهم ، ونتاج كدهم وسعيهم ، وبهذا سادوا ، وشادوا ، ودخل الناس فى دينهم ليتالوا ما نالوا من عز ، وسؤدد .. فالضعيف مولع بتقليد القوى ، والمغلوب مولع بمتابعة الغالب .. حتى اذا استدار الزمان ، وأدارت لنا الحياة ظهرها ، أصبحنا ننظر الى الغرب، وعلومه ، وفنونه ، نظر الصبى الى والديه ، يقلدهما ، ولا يعقل مما يقلده شيئا .. وهكذا صرنا عيالا على الغرب ، فى ماديات حياته ومعنوياتها ، وهيهات أن نرشد ونبلغ مبلغ الرجال الا اذا خرجنا من وصاية الغرب علينا ، وتعلقت قلوبنا وعقولنا بديننا ، وبسيرة أسلافنا الاولين .

روى أن عمر رضى الله عنه ، لقى رجلا كان يسأل عن الفتيا فى أمر عرض له ، فسأله : ما صنعت ؟ فقال قضى على بن أبى طالب ، وزيد بن ثابت ، بكذا ، فقال عمر : لو كنت أنا لقضيت بكذا ! ! قال فما يمنعك ، والامر اليك (١) قال لو كنت أردك الى كتاب الله أو الى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لفعلت ! ! ولكنى أردك الى رأيى ، والرأى مشترك ! ! » .

---

(١) لانه كان خليفة المسلمين .

Upload by: altawhedmag.com

فهذا تقرير لحق الاجتهاد من أهل الاجتهاد ، لا سلطان لاحد فيما يأخذ المسلم لدينه ودنياه ، الا كتاب الله ، وسنة رسول الله ، وما تقرر فيهما من أصول الشريعة الغراء ، الخالدة ، التى تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ..

وروى أن عروة بن محمد السعدى ، وكان واليا من ولاة عمر بن عبد العزيز — رضى الله عنه — كتب الى عمر يسأله عن شىء من أمر القضاء . فكتب اليه عمر : « لعمرى ما أنا بالنشيط على الفتيا ، الا ما وجدت منها بدا ، وما جعلتك الا لتكفينى ، وقد حملتك ذلك فاقض فيه برأيك » (١) وبهذا يتعرف المسلم الى دينه ، ويفقه حقائقه ، فلا يكون عالة على غيره. وقال محمد بن الحسن — صاحب أبى حنيفة : « من كان عالما بالكتاب والسنة ، وبقول أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما استحسن فقهاء المسلمين — وسعه (٢) أن يجتهد رأيه ، فيما ابتلى (٣) به ، ويقضى به ، ويمضيه ، فى صلاته ، وصيامه ، وحجه ، وجميع ما أمر به ، ونهى عنه .. فاذا اجتهد ، ونظر ، وقاس على ما أشبه ، ولم يأل (٤) ، وسعه العمل بذلك ، وان أخطأ الذى ينبغى أن يقول به .. » .

وهذا ما روى عن عمرو بن العاص — رضى الله عنه — قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا حكم الحاكم واجتهد وأصاب ، فله أجران ، وان حكم فاجتهد فأخطأ ، فله أجر » . أى أجر الاجتهاد ، وتحرى الحق ، اذا كان أهلا للاجتهاد ، عالما فقيها ، بكتاب الله ، وسنة رسول الله .

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر جزء ٢ ص ٧٤

(٢) اى أمكنه أن يجتهد فى أمور دينه ودنياه .

(٣) اى فيما عرض له من أمر لم يحدث له من قبل .

(٤) اى لم يقصر فى النظر فى كتاب الله ، وفى سنة رسول الله ، وفى المأثور عن صحابة رسول الله .

Upload by: altawhedmag.com

هذا هو ديننا ، وتلك هى شريعتنا ، وها هؤلاء هم سلفنا — رضوان الله عليهم — لم يقفوا جامدين مستسلمين بين يدى الاحداث التى تمر بهم ، ولم يعزلوا تلك الاحداث عن الدين ، ولم يفروا منها ، ولم يباشروها بمعزل عن الدين آخذين طريق من سبقهم اليها من الاوربيين وغير الاوربيين .

فما بالنا اليوم ، وقد ملأت العلوم آفاق الدنيا ، وطوع الناس فنون الحياة كلها لايديهم — ما بالنا ، نحصر ديننا فى تلك الدائرة الضيقة داخل بيوت العبادة ، ثم نخرج الى الحياة فتواجهنا بما يزدحم فيها من مشكلات تعرض لنا كل يوم فى حياتنا الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية ، ثم لا نرى للدين رأيا فيها ، فيكون التعثر والتخبط والضلال .

ان فى ديننا الهدى من كل ضلال ، والمنار على كل سبيل ، والجواب على شكل مشكل .. والله تعالى يقول : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا . . كتاب الله وسنتى » . . انهما نور من نور الله : « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » .

انا لله وانا اليه راجعون

توفى الى رحمة الله تعالى الشيخ ياسين محمد محمود أحد مؤسسى جماعة أنصار السنة المحمدية بالاسكندرية ، الذى وهب نفسه وماله وجهده للتوحيد والدعوة الى الله منذ أكثر من ٤٠ سنة ، وظل الى آخر عهده بالدنيا لا يخشى فى الله لومة لائم ، ولا يسكت عن الدعوة الى التوحيد والتنديد بالطواغيت والانداد . نسأل الله أن يجعل كلذلك فى ميزان حسناته ، وأن ينزله فى دار كرامته مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

عوض الله فيه الدعوة خيرا ، وألهم أولاده الصبر والثبات على دعوة الحق ، وانا لله وانا اليه راجعون .

Upload by: altawhedmag.com

خصال الفطرة

٢ ـ اعفاء اللحية وقص الشارب

تحدثنا فى المقال السابق عن بعض خصال الفطرة ، وهى الختان ، والاستحداد ، ونتف الابط ، ونواصل الحديث فى هذا المقال عن البعض الآخر من خصال الفطرة ، وهو : اعفاء اللحية ، وقص الشارب أو احفاؤه ـ فنقول ، وبالله التوفيق :

١ ـ روى مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أحفوا (١) الشوارب ، وأعفوا (٢) اللحى » . وفى رواية لمسلم : « خالفوا المشركين : أحفوا الشوارب ، وأوفوا اللحى » . وفى رواية ثالثة لمسلم أيضا : « جزوا الشوارب ، وأرخوا (٣) اللحى ، خالفوا المجوس » .

٢ ـ روى البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « انهكوا (٤) الشوارب ، وأعفوا اللحى » . وفى رواية أخرى للبخارى : « خالفوا المشركين : وفروا اللحى وأحفوا الشوارب ، وكان ابن عمر اذا حج أو اعتمر قبض على لحيته ، فما فضل أخذه » .

٣ ـ روى البخارى فى صحيحه ـ فى باب قص الشارب ـ قال : « وكان ابن عمر يحفى شاربه ، حتى ينظر (٥) الى بياض الجلد ، ويأخذ هذين ، يعنى ما بين الشارب واللحية » .

---

(١) فى القاموس : احفى شاربه أى استقصى فى اخذه .
(٢) عفا الشعر أى كثر ، واعفوا اللحى اى كثروا شعرها .
(٣) ارخوا اللحى : ارسلوها .
(٤) انهكوا الشوارب : بالغوا فى قصها .
(٥) ينظر : بضم الياء (مبنى للمجهول) .

Upload by: altawhedmag.com

٤ — روى أحمد والنسائى والترمذى ، عن زيد بن أرقم رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من لم يأخذ من شاربه فليس منا » (١) وقال الترمذى حديث صحيح .

وقد بينت هذه الاحاديث الحكمة من أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتوفير اللحى ، واحفاء الشوارب ، وهى مخالفة المجوس عباد النار والمشركين ، فقد كان الاعاجم يقصون لحاهم ، ويوفرون شواربهم ، أو يوفرونهما معا ، فجاء الاسلام بهذه الاوامر ليكون ذلك مظهرا من مظاهر الوقار ، ولكى يربى المسلمين على استقلال الشخصية ، والتميز عن غيرهم فى مظهرهم ، كما تميزوا عنهم فى مخبرهم .

واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بين أن اعفاء اللحية من الفطرة ، التى هى الدين كما قال تعالى : « فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله . . . » سورة الروم : آية ٣٠ ، فكأن حلق اللحية تمرد على هذه الفطرة وهذا الدين ، وبعد تبديلا لخلق الله عز وجل ، وتشبها بالنساء فى نعومة الوجه ، بل بالنسبة للنساء : فقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة المتنمصنه ، أى التى تزيل الشعر من أطراف وجهها ، وتزقق حاجبيها ، فاذا كان الامر كذلك بالنسبة للمرأة التى جعلها الله عز وجل سكنا لزوجها ، فان ذلك يبين لنا مدى الاثم الذى يحمله من يحلقون لحاهم ، لانهم بذلك يتشبهون بالنساء ،ويقلدون المجوس ، ويقلدون المشركين ، غافلين عن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بمخالفتهم ، ونهيه عن التشبه بهم ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « من تشبه بقوم فهو منهم» رواه أبو داود عن ابن عمر .

كما أن جمهور الفقهاء على تحريم حلق اللحية ، مستدلين بأمر الرسول صلوات الله وسلامه عليه باعفائها ، والاصل فى الامر الوجوب، وخاصة أنه علل بمخالفة المجوس والمشركين ، ومخالفتهم واجبة ، وليست مستحبة فقط .

---

(١) فليس منا : اى فليس على هدينا او ليس على طريقنا ، ولا تعنى هذه الكلمة انه كفر كفرا يخرجه من الملة .

Upload by: altawhedmag.com

ومن البلايا التى عمت أن بعض علمائنا المعاصرين يحلقون لحاهم ، ويبيحون ذلك للناس ، معللين رأيهم هذا بأن اعفاء اللحية ليس من أمور الشرع التى يتعبد بها ، وانما هو من الافعال العادية للرسول صلى الله عليه وسلم • ولكن الحق هو كما بينا أن اعفاء اللحى ، جاء به الامر البين الواضح من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، معللا بمخالفة المجوس والمشركين ، ولم يثبت أن واحدا من السلف الصالح كان يحلق لحيته ، بل كلهم بلا استثناء عمل على مخالفة المشركين •

وقد قرر ابن تيمية ــ رحمه الله ــ أن مخالفة المشركين أمر مقصود للشارع ، والمشابهة فى الظاهر تورث مودة ومحبة وموالاة فى الباطن ، كما أن المحبة فى الباطن تورث المشابهة فى الظاهر ، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة • قال : وقد دل الكتاب ، والسنة ، والاجماع ، على الامر بمخالفة المشركين ، والنهى عن مشابهتهم فى الجملة ، وما كان مظنة لفساد خفى غير منضبط علق الحكم به ، ودار التحريم عليه ، فمشابهتهم فى الظاهر سبب لمشابهتهم فى الاخلاق والافعال المذمومة ، بل فى نفس الاعتقادات ، وتأثير ذلك لا ينضبط ، ونفس الفساد الحاصل من المشابهة قد لا يظهر ، وقد يتعسر ، أو يتعذر زواله ، وكل ما كان سببا الى الفساد فالشارع يحرمه • اهـ « كتاب اقتضاء الصراط المستقيم » (١) •

أما عن الشارب فالسنة فيه ــ كما بينتها الاحاديث السالفة ــ هى القص ، أو الجز ، أو الاحفاء ، أو الانهاك (وهو المبالغة فى أخذه) ، ولم يقل أحد بحلقه ، بل ان بعض الفقهاء قد اعتبر حلقه مثلة (بضم الميم) •

وقبل أن أنتهى من هذه الكلمة ، أوصى اخوانى الذين يحلقون لحاهم ، وبخاصة الذين يدعون الى الله من فوق المنابر ، أن يكفوا عن حلقها ، وأن يكونوا قدوة لغيرهم ، وأسوة حسنة لهم ، فان اخلاص التوحيد لله يقتضى الاستجابة لله تبارك وتعالى ، ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، فى كل أمر ونهى ، مظهرا ومخبرا ، شكلا وموضوعا ، والله ولى التوفيق ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه •

أحمد فهمى أحمد

---

(١) عن كتاب الحلال والحرام فى الاسلام للدكتور يوسف القرضاوى.

Upload by: altawhedmag.com

باب الفتوى

الطلاق أثناء الحيض

أعد وأجاب على سؤال هذا العدد :

أحمد فهمى أحمد

ورد الينا سؤال من الاخ الفاضل الاستاذ صلاح الدين أحمد محمد على المحامى من الاسكندرية حول موضوع الطلاق ، ونلخص رسالته فى ما يلى :

(طلقت زوجتى ثلاث طلقات منفصلة ، وكانت احدى هذه الطلقات قد وقعت أثناء كون الزوجة فى الحيض ، ولقد قرأت فى كتاب « المسح على الجوربين » وكتاب « الاستئناس لتصحيح أنكحة الناس » للقاسمى رحمه الله أنه قد ذهب الى عدم الاعتداد بطلاق المرأة وهى حائض عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، وسعيد بن المسيب ، وطاوس ، وابن تيميه ، وغيرهم من الائمة . . . الخ . وانى أرجو افتائى فيما اذا كانت الطلقة التى أوقعتها على زوجتى وهى حائض تعتبر باطلة ، وبالتالى فتعتبر الثلاث طلقات طلقتان فقط أم لا ؟ علما بأن هذه الطلقة الباطلة هى الطلقة الثانية وليست الاخيرة) .

الاجـابة

بسم الله ، والصلاة والسلام على رسول الله . « وبعد » فقد روى البخارى ومسلم بسندهما عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه طلق امرأة له وهى حائض تطليقة واحدة ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يراجعها ، ثم يمسكها حتى تطهر ، ثم تحيض عنده حيضة أخرى ، ثم يمهلها حتى تطهر من حيضتها ، فان أراد أن يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل أن يجامعها ، فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء (اللفظ لمسلم) .

Upload by: altawhedmag.com

وفى رواية أخرى لهذا الحديث عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهى حائض ، فذكر ذلك عمر للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : « مره فليراجعها ، ثم ليطلقها طاهرا أو حاملا » .

وفى بعض روايات هذا الحديث أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قد احتسب هذه التطليقة .

ونقول : ان هذا الحديث الشريف يوضح لنا قول الله تعالى : « يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن » (١) أى اذا أردتم التطليق فطلقوهن مستقبلات العدة ، وتكون المطلقة مستقبلة للعدة اذا طلقها بعد أن تطهر من حيض أو نفاس ، وقبل أن يجامعها .

والحكمة من ذلك : أن المرأة اذا طلقت وهى حائض ، فان بقية مدة الحيض لا تحسب من العدة ، وبهذا فان طلاقها وهى حائض يكون سببا فى اطالة مدة العدة ، وفى ذلك اضرار بها .

أما اذا طلقت فى طهر مسها فيه زوجها ، فانها لا تعرف هل حملت أو لم تحمل ، فهل تكون عدتها طبقا لقول الله تعالى « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » (٢) أم تعتد بعدة الحامل طبقا لقول الله تعالى « وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن » (٣) .

وقد أطلق الفقهاء على هذا الطلاق — الذى يتم فى طهر لم يمسسها فيه زوجها . اسم « الطلاق السنى » ، وعلى الطلاق الذى يتم أثناء الحيض أو النفاس ، أو فى طهر مسها فيه زوجها ، أطلقوا اسم « الطلاق البدعى » .

وقد ذهب أكثر الفقهاء الى أن الطلاق البدعى يقع ، مستدلين لذلك بدليلين :

الاول : أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قد احتسب هذه التطليقة .

الثانى : قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب

---

(١) من الآية ١ سورة الطلاق .
(٢) من الآية ٢٢٨ سورة البقرة .
(٣) من الآية ٤ سورة الطلاق .

Upload by: altawhedmag.com

رضى الله عنه : « مره فليراجعها » فقالوا : لو لم يقع الطلاق لم تكن رجعة ، لان كلمة « الرجعة » لا تحمل على معناها اللغوى ــ وهو الرد الى حالها الاول ــ وانما بمعناها الشرعى . بل ذهب بعض هؤلاء الفقهاء الى أن هذه الرجعة مستحبة لا واجبة (ذكره النووى فى شرحه لصحيح مسلم) .

وقد ذهب بعض الفقهاء الى أن الطلاق البدعى لا يقع ، منهم ابن علية من السلف ، وابن تيمية ، وابن حزم ، وابن القيم ، وخلاس ابن عمرو « تابعى » ، وأبو قلابة « تابعى » ، وسعيد بن المسيب ، وطاوس « من أصحاب ابن عباس » وغيرهم .

وقد استدل هؤلاء العلماء على بطلان الطلاق البدعى بالادلة الآتية :

أولا ــ أنه ليس من الطلاق الذى أمر الله به فى قوله تعالى : « فطلقوهن لعدتهن » بل هو مخالف لذلك .

ثانيا ــ صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه غضب عندما بلغه أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما طلق زوجته وهى حائض ، وهو صلى الله عليه وسلم لا يغضب مما أحله الله .

ثالثا ــ قول ابن عمر انها حسبت تطليقة ، لا يعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى حسبها تطليقة .

رابعا ــ لو كان قوله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب « مره فليراجعها » دليلا على أن الطلاق قد وقع لكانت رجعتها ليطلقها مرة أخرى فى الطهر الاول أو الثانى زيادة ضرر عليها ، وهذا ليس من المبادىء الاساسية للاسلام .

خامسا ــ روى أحمد وأبو داود والنسائى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه طلق امرأته وهى حائض ، فردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرها شيئا . واسناد هذه الرواية صحيح ، وهى مصرحة بأن الذى لم يرها شيئا هو رسول الله صلى الله عليه

Upload by: altawhedmag.com

وسلم ، ولا يعارضها احتساب ابن عمر لهذه التطليقة ، لان الحجة فى روايته لا فى رأيه .

ونضيف على ذلك :

أنه باستقراء القواعد الاساسية للاسلام فى شأن تكوين الاسرة ، نرى أن الله تبارك وتعالى عندما شرع لنا الطلاق ، بين لنا فى نفس الوقت أنه أبغض الحلال الى الله ، فقد روى عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أبغض الحلال الى الله عز وجل الطلاق » رواه أبو داود والحاكم وصححه . وعن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أيما امرأة سألت زوجها طلاقا من غير بأس ، فحرام عليها رائحة الجنة » رواه أصحاب السنن وحسنه الترمذى .

وعلى هذا الاساس فان الله تبارك وتعالى لا يأمرنا بالطلاق لاول عارض يعترض سعادتنا الزوجية ، بل اقرأ معى قول الحق سبحانه « فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا»(١) ثم اقرأ أيضا قوله عز وجل : « وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا ، فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ، والصلح خير ، وأحضرت الانفس الشح ، وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا » (٢) .

وعلى هذا شرع الله الطلاق لاستعماله فى أضيق الحدود ، بعد أن تستنفذ كل وسائل الاصلاح السابقة على الطلاق ، مثل قوله تعالى « واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن ، واهجروهن فى المضاجع ، واضربوهن ، فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، ان الله كان عليا كبيرا ، وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ، ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ، ان الله كان عليما خبيرا » (٣) .

والطلاق شرع من شرائع الله ، لا يجوز الخروج فيه على النصوص الواردة فى كتاب الله ، وفى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاذا

---

(١) من الآية ١٩ من سورة النساء .
(٢) الآية ١٢٨ من سورة النساء .
(٣) من الآية ٣٤ ، ٣٥ من سورة النساء .

Upload by: altawhedmag.com

كان الطلاق فى مدة الحيض عملا لم يأمر به الاسلام فى كتاب ولا سنة ، وعلى هذا سمى « طلاقا بدعيا » ، فاننا نذكر هنا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » أى مردود على صاحبه غير مقبول منه .

وقد اطلعنا كذلك على فتاوى الشيخ محمود شلتوت رحمه الله ، فاذا به يورد النص الآتى بعد أن أفاض فى الشرح :

(أما الناحية الاخرى ، وهى ناحية الفتوى بوقوع الطلاق أو الحكم بوقوعه ، فقد جرينا نحن المفتين والقضاة على الافتاء ، أو الحكم بوقوع الطلاق على مذاهب معينة قد تشهد الحجة القوية لغيرها فى عدم وقوعه . والرأى أنا لا نفتى ولا نحكم بوقوع الطلاق الا اذا كان مجمعا من الائمة على وقوعه ، فان الحياة الزوجية ثابتة بيقين ، وما يثبت بيقين لا يرفع الا بيقين مثله ، ولا يقين فى طلاق مختلف فيه .

وعلى هذا فلا نحكم بوقوع الطلاق الا اذا كان مرة ، مرة ، وكان منجزا مقصودا للتفريق ، فى طهر لم يقع فيه طلاق ولا افضاء ، وكان الزوج بحالة تكمل فيها مسئوليته) الى أن قال فى سياق الحديث عن الحالات التى لا يقع فيها الطلاق : (ولا يقع والمرأة فى حيض أو نفاس أو طهر اتصل بها فيه) .

وعلى هذا ، وعلى ضوء ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم (واياكم ومحدثات الامور ، فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة) ، فاننا نفتى الاخ السائل الذى طلق زوجته ثلاث طلقات منفصلة ، وكانت احدى هذه الطلقات — وهى الثانية — قد وقعت أثناء كون الزوجة فى الحيض ، نفتيه بأن هذه الطلقة باطلة لا يعتد بها ، ولا يهم هنا كونها الثانية أو غير الثانية ، فالعبرة بأنها طلقة باطلة لم يأمر بها الله عز وجل والله أعلم .

وفقنا اله للتفقه فى دينه ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

أحمد فهمى أحمد

Upload by: altawhedmag.com

١ ــ تم بعون الله تعالى اشهار فرع جماعة أنصار السنة المحمدية بالرمل بالاسكندرية تحت رقم ٥٩٣ بتاريخ ١٩٧٦/١١/٦ وتشكل مجلس الادارة على النحو التالى :

الرئيس : على حسن سليمان

الوكيل : جلال السيد غانم

أمين الصندوق : محمود حسيب عبد العاطى

السكرتير : أحمد رجب عرفه

الاعضاء : أحمد عبد اللطيف ــ طه محمد أبو العينين ــ أبو العلا أحمد سويلم ــ عبد الرحمن مهدى حسن ــ جابر السيد عبد الله.

وقد اتم اختيار الاستاذ حسن محمد يحيى مراقبا للحسابات

٢ ــ كعادة الجماعة فى كل عيد : أقام المركز العام للجماعة صلاة عيد الاضحى المبارك بميدان الجمهورية ، وصلى بالناس وخطبهم فضيلة الشيخ محمد على عبد الرحيم الرئيس العام للجماعة .

٣ ــ غادر الجمهورية الى دولة قطر الاستاذ عنتر أحمد حشاد نائب رئيس الجماعة ورئيس تحرير مجلة التوحيد معارا للعمل بدولة قطر .

٤ ــ لمناسبة استقالة الاستاذ عنتر أحمد حشاد من مجلس ادارة الجماعة ورئاسة تحرير المجلة ، قد تم الآتى :

(ا) قبول الدكتور محمد جميل غازى عضوا بمجلس ادارة الجماعة طبقا للائحة .

(ب) اسناد رئاسة تحرير المجلة للاخ الاستاذ أحمد فهمى أحمد ومجلس الادارة يتوجه بالشكر الى الاستاذ عنتر أحمد حشاد على ما بذله من جهود فى النهوض بالمجلة راجيا له دوام التوفيق .

Upload by: altawhedmag.com

في هـــذا العـــدد :

صفحة

١ ــ التفســـير . . . . . للاستاذ عنتر أحمد حشاد . . . ١
٢ ــ من وحى الهجرة ٨
٣ ــ هجرة النبى صلى الله عليه وسلم. لفضيلة الشيخ محمد على عبد الرحيم الرئيس العام للجماعة . . . ١١
٤ ــ التضامن الاســـلامى . . . . لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز ١٥
٥ ــ قليل من الحياء . . . . . للدكتور جابر الحاج ٢٣
٦ ــ من كلمات الشيخ محمد حامد الفقى مؤسس جماعة أنصار السنة المحمدية . ٢٥
٧ ــ متى ننصف ابن تيمية . . . . للاستاذ محمد عبد الله السمان . . ٢٦
٨ ــ سد باب الاجتهاد ، وما ترتب عليه للاستاذ عبد الكريم الخطيب . . ٢٩
٩ ــ الفقه (خصال الفطرة) . . . أحمد فهمى أحمـــد ٤١
١٠ــ باب الفتوى (الطلاق أثناء الحيض) أحمد فهمى أحمـــد ٤٤
١١ــ أخبار الجماعة ٤٩

الثمن ٥٠ مليما

رقم الايداع ١٩٧٥/٤٤
مطبعة المجد تليفون ٩١٣١٥٤

Upload by: altawhedmag.com